دراسات أندلسية



جمادى الأولى 1410 العدد 3 ديسمبر 1989

مجلّـــة دراســـات أندلسيـــة

مجلّة علميّة مختصة في الدراسات المتعلقة بإسبانيا الإسلامية

مؤســـها ومديرها
جمعـــة شيخـــة

تصدر المجلة مرّتين كل سنة في جانفي وجوان.

ثمن العدد :

— بتونس : 3,000 د.

— بالبلدان العربية : 4,000 د.

— بقية البلدان : 5,000 د.

توجّه المراسلات باسم مدير المجلة إلى العنوان التالي : د. جمعة شيخة

ص. ب. رقم 51 — 1008 تونس — باب منارة — الجمهورية التونسية — تليفون : 227.616

تسدد قيمة الاشتراكات عن طريق حوالة بريدية في الحساب الجاري 94 — 543 تونس أو بواسطة حوالة بنكية.

لا تلتزم المجلة بما ينشر فيها من آراء، ولا ترد الفصول المخطوطة إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر.

— يرجى من المؤلّفين أن يرفقوا مقالاتهم بملخّص بالعربية أو الفرنسية.

الفهـــرس

تصدير

تطفىء مجلّة (دراسات أندلسيّة) بظهور العدد الثالث منها شمعتها الأولى . ففي مثل هذا الشّهر من العام الفارط صدر العدد الأوّل من هذه المجلّة الفتيّة . وكانت النّظرات إليها ما بين نظرة إشفاق وحبّ ونظرة إعجاب ودهشة ونظرة هزء وسخريّة .

نعم أطفأت مجلّتنا شمعتها الأولى ، وأشعلت من قبس العزيمة نبراسا ستعمل على نوره للمستقبل في صمت وهدوء وثبات .

إنّ ما اعتبر حلما منذ سنة أصبح حقيقة واضحة ، وما كان أمنيّة بات واقعا ملموسا ، وها هي مراسلات من داخل العالم العربي وخارجه تصلنا من جامعات وهيآت علميّة لها صيت وباع ، تطلب الاشتراك في هذه المجلّة لقيمة محتواها . بل رأى بعض أساتذتها الأجلاء ممّن له في الأندلسيات قول أن يساهم بالكتابة فيها . ونحن نعتقد أنّ هذا النّجاح النّسبي لمجلّتنا يعود بالدّرجة الأولى إلى أنّ الدّراسات الأندلسيّة بصفة عامّة ، وفي تونس وإسبانيا بصفة خاصّة أخذت أبعادا فكريّة وحضاريّة خلال السّنوات الأخيرة .

ومن خلال هذه الأبعاد الفكريّة والحضاريّة بدأت تبرز وتتّضح قيم ومبادىء، ستساهم لا شكّ في خلق إنسان القرن الواحد والعشرين: إنسان التّسامح والتّعاون، إنسان السّلم والمحبّة . فهذه تونس ، وخلال أسبوع واحد ، تحتضن ملتقيين دوليين[1] . ومع أنّ الموضوعين العامّين لهما لم يكونا مركّزين على الأندلس ، فإنّ تراث هذا البلد الزّاخر كان فيهما محلّ دراسات دقيقة برزت من خلالها تلك القيم المنشودة

(1) الملتقى الأوّل نظمته الجمعيّة التونسيّة للمؤرّخين الجامعيّين : وهو الملتقى الخامس لتاريخ المغرب وحضارته المنعقد ما بين 23 و1989/10/26 . أمّا الثاني فهو النّدوة الدّولية حول البحر الأبيض المتوسّط من خلال الخرائط والرّحلات وقد نظمته دار أليف ALIF للنّشر بالتعاون مع المصلحة الثقافية التابعة لسفارة فرنسا من 26 إلى 1989/10/28 .

في نهاية هذا القرن العشرين[2] . وفي إسبانيا وبالضبط في مدينة صغيرة رائعة في شرقيّ الأندلس هي مدينة سان كارلوس دي لا رابطة الحالمة بين زرقة بحرها وخضرة سهلها ، العاشقة لخرير مياه نهرها[3] وتغريد طيور جبالها ، انعقد ملتقى حول الرّباطات ودورها الدّفاعي والاجتماعي والفكري[4] . وممّا لفت انتباهنا أنّ هذا الموضوع جلب إليه ، في هذه المنطقة النّائية نسبيًا عن المدن الإسبانيّة الكبرى ذات النّشاط الثقافي الزّاخر ، أهلَ الاختصاص وغير أهل الاختصاص ، بل إنّ الصّنف الثّاني كان أكبر عددا وأكثر إلحاحا على فهم الجزئيات ومناقشة كلّ ما أُلقي من بحوث فَبِما ذا يمكن أن نفسّر ذلك ؟ بالاستقبال الحسن وبالتّنظيم المحكم ، لا شكّ في ذلك . ولكن هناك أمر آخر : إنّهم وجدوا في هذا النّشاط المتعلّق بالدّراسات الأندلسيّة غذاء للفكر والرّوح معا فرغبوا فيه وتعلّقوا به .

إنّ هذا الملتقى هو حلقة من سلسلة ، ونقطة انطلاق بدأت وستستمرّ إلى سنة 1992[5] الموافقة لمرور 500 سنة على اكتشاف كريستوف كولمب لأمريكا . وستكون إسبانيا بذلك وباحتفالها بهذه الذّكرى الإنسانيّة الكبرى قبلة لمحبّي التراث الأصيل والفنّ الرّفيع والتّاريخ المجيد والتسامح العظيم[6] .

ولهؤلاء جميعا ــ ممّن يمكن لهم حضور كلّ ما سيُعقد من ملتقيات علميّة وما سيُقام من منتديات فكرية ، وخاصّة من لا يُمكن لهم ذلك ــ وُجدت مجلّة (دراسات أندلسيّة) وستبقى ، إن شاء الله .

د. جمعة شيخة

(2) من الوجوه البارزة المشاركة في هذا الملتقى الثاني الأستاذان ميكال دي إبلزا العضو الاستشاري للمجلّة والأستاذ أندري ميكال .

(3) تقع هذه المدينة قرب مصبّ نهر الإبرو ، وهكذا تتعانق غير بعيد منها مياه البحر مع مياه النّهر في منظر رائع خلاّب .

(4) شارك في هذا الملتقى بدعوة من بلديّة المدينة الدّكتور فرحات الدّشراوي ومدير المجلّة ببحثين حول الدّور العسكري والفكري للرّابطات بإفريقيّة .

(5) هذه السنة تمثّل ذكرى مرور 500 سنة على سقوط آخر معقل للعرب بإسبانيا وهي غرناطة . واحتراما لمشاعر المسلمين تجنّب الإسبان التّأكيد على هذا الحدث ووقع التأكيد على اكتشاف أمريكا .

(6) اقترح علينا منظمو ملتقى سان كارلوس في نطاق التسامح ربط الصّلة بين عائلات أندلسية هاجرت إلى تونس وأخرى بقيت في إسبانيا . ويتمّ اللّقاء بينهما في مرفأ المدينة الجميلة للتعارف وطيّ صفحة الماضي المؤلم .

قضية أبي عمر الطّلمنكي الأندلسي
(340 هـ/951 ـــ 429 هـ/1037)

بقلم : الأستاذ عمر بن حمادي
كلّية الآداب بمنوبة ـــ قسم التاريخ

تُعتبر قضية المصادر بالنّسبة إلى مؤرخ القرون الوسطى قضيّة كبرى . فالأساسيّة منها تبقى دائما كتب الحوليات وما شاكلها ، وخاصّيات هذا الصنف أشهر من أن يُذكّر بها الباحث . فهي كُتب « الرسل والملوك » ، وكتب النّخبة ومن يدور في فلكها ، وكتب الأحداث السّياسيّة والوقائع والحروب . ولئن أصبح الإيمان راسخا بأنّه لا تاريخ بدون أحداث ، فإنّ النقص واضح عندنا فيما يتعلّق بجوانب أخرى لا تاريخ بدونها كذلك ، وهي جوانب متعدّدة من الحياة العامّة ـــ اجتماعية كانت أو اقتصاديّة ـــ أو الحياة الخاصّة كالعلاقات الشّخصية بين الأفراد مثلا .

ومع هذا ، أبرزت الأبحاث في السّنوات الأخيرة أهمّية أصناف أخرى من المصادر تبيّن أنّه بإمكانها الحد من وطأة هذا النقص وتلافيه ، ومن هذه المصادر نذكر : كتب التراجم والفهارس من جهة ، وأصنافا من كُتبِ الفقه ـــ كالنّوازل والفتاوى ـــ من جهة أخرى : فهي أقلّ جفافًا فيما يتعلّق بالجوانب المشار إليها وأكثر ثراءً من كتب الحوليّات[1] .

(1) أنظر مثلا : E. Levi-Provençal, **Histoire de l'Espagne Musulmane**, T.III, Paris 1953, p 114-115.

والاهتمام بهذه الأصناف من المصادر لا يمكن إلاّ أن يزداد يوما بعد يوم ، خاصّة عند الباحثين في تاريخ المغرب الإسلامي في فترة ما يسمّى بالعصور الوسطى ؛ ذلك أنه بإمكاننا أن نقول إنّ كتابة تاريخ هذه المنطقة من النّاحية السيّاسيّة ، قد تمّت ، وذلك لا فقط من ناحية الخطوط الكبرى بل وحتى في أدق التفاصيل بالنّسبة إلى بعض الفترات والمناطق . فنحن نملك خاصّة بالنّسبة إلى إفريقية أعمالا ممتازة لكلّ مرحلة تقريبا من المراحل السياسيّة التي مرّت بها المنطقة .

لذلك يتّجه الاهتمام أكثر فأكثر بمختلف الجوانب الأخرى غير السياسيّة ويزداد الاهتمام بأصناف المصادر المُشار إليها ، لتُصبح ، لا مصادر ثانويّة كما كان ينظر إليها ، بل مصادر أساسيّة ، فالباحثون الجدّيون يعتقدون اعتقادا راسخا أنه لا بحث مثلا في الجوانب الاقتصادية دون اعتماد كتب الفقه . كما يبدو لنا من الواضح أنّه لا اهتمام بالعقليات دون اعتماد كتب التراجم[2]. زيادة على ذلك فإن هذه الأصناف من المصادر رغم المشاكل الكثيرة التي تحيط باستغلالها ــ وهو ما سنشير إليه فيما بعد ــ باستطاعتها أن تكمّل بعضا من النّقص حتى فيما يتعلق بأحداث سياسية .

ففي تقديمها لتراجم الشخصيات ــ وهي شخصيات مختلفة سواء في انتماءاتها العائلية والاجتماعية ، أو في تكوينها واهتماماتها ، أو في آرائها ومواقفها ــ تُقدّم لنا هذه الكتب تفاصيل دقيقة لا تُقدّمها أصناف الكتب الأخرى ، لتُمكنّنا بذلك من الإحاطة ببعض مظاهر الحياة اليوميّة ، تلك الخلفية التي تتجاهلها كتب التاريخ السّياسي . وفي هذا السياق تتنزّل الحادثة التي أزمعنا الوقوف عندها ، وهي قضيّة أبي عمر الطلمنكي[3] .

(2) أنظر مثلا : Mohamed Talbi «Droit et économie en Ifriqiyya au IIIe/IX siècle»,Etudes d'Histoire Ifriqiyyenne,, P. UN.T. 1982, p. 185.

(3) من علماء الأندلس ، أصله من طلمنكه إحدى مدن الثغر الأندلسي في الشمال الغربي ، ولد سنة 340 هـ/951 م ، وتوفي سنة 429 هـ/1037 م . غلب عليه خاصّة علم القرآن والحديث إلى جانب الاهتمام طبعا بالفقه وغيره من علوم الشريعة . ترجم له الكثيرون وخاصّة القاضي عياض في ترتيب المدارك تحقيق أحمد بكير ، ج III-IV، ص 749؛ ابن بشكوال، الصّلة ، تحقيق عزّت العطّار ، رقم 92؛ ابن الجزري ، غاية النّهاية ، نشر برجستراسر ، ج I ، رقم 554 .

هذه القضيّة عرفتها مدينة سرقسطة الأندلسيّة سنة 425 هـ/1033 م ومُلخّصها أن عددا من رجال العلم بهذه المدينة عقدوا اجتماعًا في منزل أحدهم وكتبوا رسما ضدّ علم آخر من أعلامها هو الطّلمنكي هذا ، موجّهين له جُملة من التّهم ، ورفعوا ذلك إلى القاضي . ووفقا لمُعطيات القضاء في ذلك العصر شاور القاضي عددا آخر من أعلام المدينة[4] ، فمنهم من أفتى بصحّة تلك التّهم ، ومنهم من أفتى بإسقاطها ، وقد انتصر القاضي إلى هذا الرّأي الأخير وكتب عقدا ببراءة الطّلمنكي .

فالقضية تبدو بسيطة ، لكنّها تُثير عدة مسائل هامة . وهذه المسائل بالإمكان إبرازها بالتعرّض إلى النّقاط التّالية :

— أوّلا ، بالتوقف عند الكيفيّة التي أوردت بها مصادرنا هذه القضيّة .
— ثانيا ، بمحاولة التعرّف على الشّخصيات التي كانت طرفا فيها .
— ثالثا : بالوقوف على كُنْهِ التّهم الموجّهة إلى هذا الشخص وما يُمكن استخلاصه من ذلك .

I) كيف أوردت مصادرنا هذه القضيّة ؟

لِنُذكّر — كملاحظة أولى — بأننا لا نجد في مصادرنا التّاريخيّة الأساسيّة — وأعني كتب الحوليات — ما يُمكن أن نُسمّيه «قضيّة الطّلمنكي» . فهي حادثة من أحداث الحياة اليوميّة العاديّة ، وتدخل في عِداد التّطوّرات التي تطرأ عل العلاقات بين الأشخاص .

وهذا الصّنف من مصادرنا لا يهتمّ البتّة بهذه القضايا . فكتُب التراجم هي التّي تُمدّنا بمعلومات حولها .

لكن — وهذه ملاحظتنا الثّانيّة — علينا أن لا نترقّب ذِكرًا لهذه القضيّة في التّراجم المخصّصة للطّلمنكي نفسه . وهذا غير مُستغرب في الواقع بالنّسبة إلى كلّ من تمرّس بهذا الصّنف من المصادر . فهو يُلاحظ أنّ القضايا الشائكة أو الحوادث الخارجة عن المألوف التي قد يتعرّض لها المترجم له لا تُذكر عادة في ترجمته ، بل تُثار في تراجم شخصيات أخرى كان لها طرف في تلك القضية أو الحادثة . فنحن لم نكتشف قضيّة

(4) أنظر حول «الشّورى» في الأندلس E. Tyan, Histoire de l'organisation judiciaire en pays d'Islam T.I, Paris 1938, p 339 et 189

الطّلمنكي هذا إلّا من خلال ما تضمّنته تراجم شخصيات أخرى لعبت دورا فيها . والسّبب الرّئيسي الذي يكمن وراء هذا التّصرّف هو في اعتقادنا ما يطغى على هذا الصّنف من المصادر من ذاتية ونقص في الموضوعيّة . فهي كتب تراجم ، أي أنّ أصحابها يُريدون نحت صور لشخصيات مختلفة ، محاولين قدر الإمكان في أغلب الأحيان أن تكون مُطابقة للواقع ، لكنّها تبقى في نهاية الأمر صورا تُنحت من خلال منظار شخصي يُؤكّد على بعض الجوانب ويُخفي جوانب أخرى ويحرص كل الحرص على المجاملة والمدح ، أو على الذمّ والقدح .

نتيجة لكلّ ذلك تبرز لنا ملاحظة أساسيّة ، وهي أنّ اكتشافنا لمثل هذه القضايا والجوانب يبقى في نهاية الأمر رهين عوامل كثيرة مختلفة ، كالتجريد الكامل مثلا لهذه المصادر ، ثم وخاصّة رهين الميولات التي تُحرّك صاحب هذا المصدر أو ذاك . وقد حاول جُلّهم عدم إثارة بعض أصناف المواضيع مُلتزمين بإيراد ما يستطيعونه من معلومات حول نقاط مُعيّنة مضبوطة ، كالاسم الكامل ، وتواريخ الولادة والوفاة ، وأماكن التنقل ، والأساتذة ، والكُتب التي تُدرّس أو تُؤلّف ، وما شاكل ذلك من المعلومات . فأتت التّراجم وكأنّها أجوبة على استمارات جاهزة حول عدد من النقاط ، فوائدها كثيرة لكنّها تُعطي صورة باهتة حول الشّخص وَلاَ تُبيّن مَلامحه بوضوح .

غير أنّ هناك من يسمح لنفسه بالخروج قليلا عن هذه القوالب وذلك بالتوقّف مثلا عند بعض الأخبار التي يُغفلها الآخرون ، أو بإعطاء مكانٍ في كُتبهم لشخصيات يرى بعضهم أنّه لا مكان لها في كتب التراجم . «والتأنيب» الذي وجّهه ابن عبد الملك المرّاكشي (توفي سنة 703 هـ/1303 م) لابن الأبّار (توفي سنة 658 هـ/1259 م) في هذه النّقطة بالذّات أمرٌ مشهور . فهو يلومه على ذِكره « نساءً تُنزّه الصّحف عن تسويدها بذكرهنّ فيها مع أهل العلم ...»[5] .

وابن الأبّار هو الذي مكنّنا من التعرّف على قضيّة الطّلمنكي لكن رغم «شجاعته» فهو لم يتعرّض لها بصفة صريحة أي في ترجمة المعني بالأمر بل في طيّات التّراجم التي خصّصها لعدد من الأعلام في كتابه «التّكملة» . معنى ذلك أنّه إذا ما استعرضنا التّراجم التي خُصّصت لأبي عمر الطّلمنكي في مختلف الكتب التي بين أيدينا فإنّنا نجد فقدانا تامّا لكلّ ما من شأنه أن يدلّ أن الرّجل تعرّض لمحنة مّا في حياته . لكننا نكتشف

(5) ابن عبد الملك المرّاكشي ، **الذّيل والتكملة** ، بيروت ، ج I ، ص 13 .

عَرَضا وفي تراجم شخصيات أخرى أنّ الطلمنكي وقف أمام القضاء وأنه كان له خصوم أَلِدّاء . معنى ذلك أنه لا يمكن لِباحث ما أن ينطلق لكَشف النّقاب عن موضوع محدّد من قبل يُسمّى «قضية الطّلمنكي» وينتبه إليه من خلال ترجمة هذه الشّخصية نفسها. بل هي قضيّة يتفطّن إلى وجودها وهو يبحث موضوعا آخر ، أو بجرّد كتاب «التكملة» تجريدا كاملا . ونحن نُثير هذه النّقطة لنُؤكّد على خصوصية هذا العمل من ناحية أولى ، وعلى محدوديته من ناحية ثانية . فلا شكّ أنّ بعض الجوانب قد فَاتَتْنا لأنها قد تكون وردت في بعض التّراجم التي لم نتفطنّ إليها أو سقطت من بعض نسخ الكتاب أو ما إلى ذلك من الاحتمالات ، خاصّة وأنّ مشاكل عديدة أحاطت بتحقيق كتاب «التّكملة» لابن الأبّار[6] .

II) الأطراف المشاركة في القضية .

مكّنَنا التّجريد الكامل لكتاب «التكملة» من الحصول على عدد من الأسماء كان لأصحابها دور في هذه القضيّة وبإمكاننا تقسيم هذه الشّخصيات إلى أصناف ثلاثة : صنف أوّل هم رافعو القضية وأصحاب الدّور الأوّل فيها . صنف ثانٍ هم المؤيّدون لهم من الذين شاورهم القاضي . صنف ثالث هم الذين انتصروا لأبي عمر ودافعوا عنه . غير أنّه من الصّعب جدّا التّفرقة بين أفراد المجموعة الأولى والمجموعة الثانية لعدّة أسباب . فقد انطلقت القضية ــ حسبما ذكره ابن الأبّار في ترجمة أحد أعلام سرقسطة هو محمد بن رافع بن غريبب الأموي ــ من «تحرُّك» عدد من علماء سرقسطة ضدّ أبي عمر الطلمنكي وعَقْدِهِمْ اجتماعا بمنزل ابن أخي محمد هذا وهو رافع بن نصر ابن رافع بن غريبب لبحث الأمر ، لكن ابن الأبّار لم يذكر من أسماء الحاضرين سوى محمد المذكور صاحب الترجمة[7] غير أنّه أضاف بعض الأسماء في ترجمة أخرى ؛ فذكر أنّ صاحبها إسماعيل بن محمد بن المعلّم ، المعروف بالدّرّاج «هو أحد الشّهود على أبي عمر الطّلمنكي بخلاف السّنّة ، مع رافع بن نصر بن غريبب ، والحسن بن محمد بن هالس وجماعة من الأعلام ...»[8] فهل أنّ هذه الأسماء المذكورة تُمثل أسماء المحرّكين الأساسيين للقضيّة ، أم أنّ أصحابها هم فقط ضمن «الشّهود» ــ والكلمة وردت في هذه الفقرة ــ أي ربّما ضمن الشّخصيّات الذين أدلوا بشهادتهم

(6) أنظر EI2, T.III, p 694: Art: Ibn Al-Abbâr

(7) ابن الأبّار ، التكملة ،تحقيق عزت العطار ، رقم 1072 .

(8) نفسه ، رقم 472 .

فيما بعد ؟ لهذا السّبب لا يُمكننا — كما ذكرنا — التفرقة بين أفراد المجموعة الأولى والمجموعة الثّانية . والشيء الوحيد الذي نحن في شبه تأكّد منه هو أن هذا «التحرّك» قد تزعمّه بنو غريبب : العمّ وابنُ الأخ الذي في منزله تمّ الاجتماع .

هل بالإمكان حصر عدد الذين تحرّكوا وشهدوا ضدّ أبي عمر ؟ نعم ، وابن الأبّار صريح في ذلك . فقد ذكر في ترجمة القاضي الذي بتّ في القضيّة أنهم «كانوا خمسة عشر من الفقهاء والنّبهاء بسرقسطة»[9] وقد دفعنا ذلك إلى البحث عن أسماء الخمس عشرة شخصيّة ، لكنّنا لم نظفر في النهاية إلاّ بأسماء سبع منها ، أعطى ابن الأبار أحيانا بعض المعلومات حولها . وهذه الشخصيات هي :

1) محمد بن رافع بن غريبب الأموي ، ولم يذكر ابن الأبّار اختصاصه العلمي ولا تاريخ وفاته[10] .

2) ابن أخيه رافع بن نصر بن رافع بن غريبب ، وهو فقيه توفي سنة 435 هـ/1043 م[11] .

3) إسماعيل بن أحمد بن المعلم ، المعروف بالدرّاج ، وهو من الفقهاء ، لكن ابن الأبّار لم يذكر تاريخ وفاته[12] .

4) إبراهيم بن عيسى بن مزاحم الأموي ، وهو الآخر من الفقهاء ولم يذكر ابن الأبّار تاريخ وفاته[13] .

5) أبو علي الحسن بن محمد بن هالس الأزدي ، المقرىء[14] .

6) أخوه يحي بن محمد بن هالس . ذكر ابن الأبار أنه كان — وأخوه — من نبهاء سرقسطة[15] .

7) سوار بن محمد بن سوار ، وهو من فقهاء سرقسطة[16] .

---

(9) نفسه ، رقم 1071 .

(10) نفسه ، رقم 1072 .

(11) لم يخصص له ابن الأبّار ترجمة في كتابه على ما يبدو . له ترجمة في كتاب **الصّلة** لابن بشكوال ، تحقيق عزّت العطار ، رقم 427 .

(12) ابن الأبّار المصدر المذكور ، رقم 472 .

(13) نفسه ، رقم 345 ، لم يذكر ابن الأبّار تاريخ وفاة بقيّة الشخصيّات .

(14) نفسه ، رقم 678 .

(15) ابن الأبّار ، **التكملة** ، مُلحق Gonzalez-Palencia, Alarcon ، رقم 2748 .

(16) نفسه ، رقم 2669 .

ماذا نعرف عن أفراد المجموعة الثالثة ؟ أي الذين انتصروا لأبي عمر الطّلمنكي فشهدوا ببطلان التّهم الموجّهة إليه ؟ تُواجهنا هنا صعوبات أكثر ، فابن الأبّار لم يمدّنا برقم لعددهم ، وقد توصّلنا إلى معرفة أسماء ثمانية منهم ، وهم :

أبو محمد عبد الله بن ثابت ، وهو من عائلة بني ثابت بن حزم العَوْفيين بسرقسطة ، وقد ذكر ابن الأبّار أنّه «كان فقيها ومشاورا جليلا » .

وأن القاضي شاوره «في جماعة معه كان هو رأسهم وصدرهم والمسمّى فيهم أوّل الجماعة...»[17] .

ـــ محمد بن يحي بن محمد التّجيبي : وهو فقيه[18] .

ـــ حسين بن إسماعيل الغفاري ، وقد ذكر ابن الأبّار أنّه من شهود سرقسطة المعدّلين[19] .

ـــ عبد الله بن سعيد بن عبد الله اللخمي ، وهو من فقهاء سرقسطة[20] .

ـــ سعيد بن محمد بن عبد الرحيم : وهو من فقهائها كذلك[21] .

ـــ عبد الصّمد بن محمد بن خصيب ، فقيه[22] .

ـــ يونس بن يوسف بن محمد ، فقيه كذلك[23] .

ـــ قاضي الجماعة بسرقسطة آنذاك أبو عبد الله محمد بن فورتش[24]. وقد انحاز هذا القاضي إلى أبي عمر ، إذ ذكر ابن الأبّار أنّه أسقط شهادة المناوئين «ممتعضًا للطّلمنكي ودافعا عنه ما ألصقوه به ونسبوه إليه»[25] .

أمّا بقية أفراد هذه المجموعة ـــ إن وُجدت بقيّة ـــ فنحن لم نتوصّل إلى معرفتهم . وقد حاولنا المقارنة بين أفراد المجموعتين ـــ المناوئة والمساندة لأبي عمر ـــ لكن قلّة المعلومات المُقدّمة حول كلّ شخصية لم تسمح لنا بالوصول إلى استنتاجات ذات دلالات هامّة .

(17) نفسه ، رقم 1954 .

(18) **التكملة** ، تحقيق عزّت العطار ، رقم 1076 .

(19) نفسه ، رقم 728 .

(20) نفسه ، رقم 1960 .

(21) ابن الأبّار ، **التكملة** ، الملحق ، رقم 2632 .

(22) نفسه ، رقم 2160 .

(23) نفسه ، رقم 2835 .

(24) **التكملة** ، تحقيق عزّت العطار ، رقم 1071 وقد ورد فيها أنّ اسمه هو محمد بن عبد الله ابن فرتون وهذا غلط .

(25) انظر ترجمة محمد بن غربيب ، هامش رقم 6 .

III) ما هي التُّهم الموجّهة إلى أبي عمر الطلمنكي ؟

إنّه من الصّعب جدًا الوقوف على كُنه هذه التّهم بالوضوح اللاّزم ، وهذا منتظر في الواقع . فمصادرنا ، مهما كان «تفتّح» بعضها ، لا يمُكنها أن تُطيل الحديث في مثل هذه المواضيع . ثم حتّى وإن أقْدم بعضها على مدِّنا ببعض التّوضيحات فإنّ ذلك لا يتمّ دفعة واحدة ، بل بصفة مُبعثرة بين التّراجم . وقد قام ابن الأبّار بالعمليتين : فكان يُشير إلى التّهمة بتلخيص كبير ، ليضيف في هذه الترجمة أو تلك بعضا من المعلومات لكن باقتضاب كبير كذلك . أمّا تلخيص التّهمة فيتمثل في أنّ المتألّبين على الطّلمنكي شهدوا عليه «بخلاف السّنّة» . فهذه العبارة تكرّرت في جلّ التّراجم . وهي ولا شكّ تُهمة خَطِرَة خاصّة وأن بلاد الأندلس تعتبر معقلا رئيسيا للسّنّة . لكن في أيّ شيء خالف الطّلمنكي السّنّة ؟

أورد ابن الأبّار في تراجم ثلاث ، توضيحات مقتضبة في هذا الشّأن فقال في ترجمة أولى أن صاحبها كان «أحد الشّاهدين على الطّلمنكي بخلاف السّنّة وذلك لتشدّدِه على أهل عصره وغيرهم وإطلاقه عليهم ما حرّكهم لمطالبته»(26). وذكر في ترجمة ثانية أن صاحبها شاوره القاضي «فيما شُهد به على أبي عمر الطّلمنكي من كونه حَروريا على خلاف السنّة»(27). أما في الثّالثة فقال إنّ القاضي «انتصر لأبي عمر الطّلمنكي من الشّهداء عليه بأنّه حروري سفّاك للدّماء يرى وضع السّيوف على صالحي المسلمين»(28) .

فنحن نلاحظ أنه في التّرجمة الأولى والثّانية وقع تفسير معنى مخالفة الطّلمنكي للسنّة ، فقيل في الأولى إنّه كان مُتشدّدا على أهل عصره وغيرهم ، وفي الثّانيّة ، أنّه حروري . أمّا في التّرجمة الثّالثة فلم تُذكر عبارة مخالفة السّنّة وذُكرت التّهمة على أنّه «حروري» . فالتّهمة الأوضح هنا هي إذن الانتماء إلى الحروريّة ، أي كما هو مُتعارف عليه إلى المذهب الخارجي ، إذ «الحروريّة» هي إحدى التّسميات المستعملة في شأن أتباع هذا المذهب ، وهو ولا شكّ ما يفتح أمامنا تساؤلات هامّة . فهل كان أبو عمر الطّلمنكي بالأندلس في بداية القرن الخامس الهجري وفي عهد ملوك الطوائف ، وهو المحدّث والمقرىء الشّهير،مُنتميا إلى المذهب الخارجي ؟

---

(26) نفس الإحالة .

(27) نفس المصدر ، رقم 1954 .

(28) نفس المصدر ، رقم 1071 .

إن البحث في حياة أبي عمر الطّلمنكي سواء كان بطريقة مباشرة أي بالتوقّف عند التّراجم التي خُصّصت له[29] ؛ أو بطريقة غير مباشرة من خلال التّوقف مثلا عند تراجم تلاميذه أو تراجم شخصيات أخرى اتّصلت به ، يجعلنا لا نرتاب في انتماء أبي عمر إلى أهل السّنة وإلى المالكيّة . ونحن هنا لا نأتي بجديد فقاضي سرقسطة وعدد من عدولها ومُشاوريها حكموا بذلك قبلنا ، ولا شكّ أن حُكمهم لم يكن جزافا واعتباطا .

فقد تتلمذ الطّلمنكي على عدد من علماء قرطبة لا يوجد منهم من عُرف بميل إلى مذاهب غير سُنّيّة ، حروريّة كانت أو غيرها . ثم كانت للطّلمنكي رحلة إلى المشرق دَخل فيها مكّة والمدينة ومصر وتوقف خلالها بالقيروان — لا ندري قبل وصوله إلى المشرق أو بعده — وبها كان تتلمذه على كبير علماء العصر في الفقه المالكي وأحد كبار رجال السّنة عموما ونقصد أبا محمد بن أبي زيد القيرواني[30] . ورغم عدم معرفتنا الجيّدة بميولات عدد من شيوخ الطّلمنكي ، بإمكاننا أن نستبعد كل البعد انتماءهم إلى المذهب الخارجي . فتسجيل ذلك لم يكن ليفوت مصادرنا.

ثم إنّ ما كان يُدرّسه الطّلمنكي ويَرويه لا نجد فيه إلّا كتبا سنّيّة مُعترفا بمكانتها عند أهل هذا المذهب . فهو من كبار المحدّثين «بموطأ» مالك بن أنس وسَنده فيه هو أرفع الأسانيد في ذلك العصر . إذ هو يأخذه عن أبي عيسى يحي بن عبد الله عن عمّ والده عبيد الله عن والده يحي بن يحي اللّيثي صاحب الرّواية المشهورة «للموطأ» عن مالك[31] . وقد تلقّى كل من القاضي عياض والقاضي ابن عطيّة صاحب التّفسير «الموطأ» بسند فيه الطّلمنكي[32] . ومكانة هذين القاضيين بين أهل السّنّة أشهر من أن يُذكّر بها أو يطعن فيها،كما حدّث الطّلمنكي بكتب أخرى منها :

— شرح غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام[33] .

— شرح السّيرة لابن هشام[34] .

---

(29) انظر أعلاه هامش رقم 3 .

(30) ابن بشكوال ، الصّلة ، ترجمة الطّلمنكي ، رقم 92 .

(31) حول أهميّة هذا السّند انظر : عياض ، ترتيب المدارك ، تحقيق أحمد بكير ، ج III-IV ترجمة أبي عيسى يحي ، ص 412–414 .

(32) انظر : عياض ، الغنية ، تحقيق عمر بن حمادي ، مرقونة ، جامعة تونس I، ص 3؛ ابن عطية ، الفهرسة ، ط1 ، بيروت 1980، ص 82 و100 .

(33) الغنية ، ص 9 .

(34) الغنية ، ص 125 .

ــ مسند حديث مالك لأبي القاسم الجوهري المالكي[35] .
ــ كتاب الإشراف على مذاهب أهل العلم في الاجتماع والاختلاف لأبي بكر النيسابوري[36] .

أمّا مؤلّفاته ، فإن كنّا غير عارفين بمحتوياتها نظرا إلى عدم وصولها إلينا ، فإننا نعتقد أنّها لم تكن مُتضمنة لما يخالف السنّة بصفة عامّة أو فيها جنوح إلى معتقدات الخوارج وآرائهم بصفة خاصّة . وهو ما تُؤكده بعض المصادر التي تعرّضت إلى هذه المؤلفات . فهذا عياض يُقدّم لنا قائمة فيها ويذكر أنّها «نافعة،كثيرة»[37] . وهذا ابن بشكوال أكثر صراحة في المعنى المطلوب إذ ذكر أنّ أبا عمر «جمع كُتُبًا حسانا كثيرة النّفع على مذاهب أهل السنّة ظهر فيها علمه»[38].غير أنّه علينا أن لا ننساق كثيرا وراء هذا التأكيد ــ الوارد في هذه الجملة ــ على الانتماء إلى السنّة لأنّه ولا شكّ انعكاس للقضيّة التي نحن بصدد التعرّض إليها ، ودفاع متأخر زمنيا من ابن بشكوال على الطّلمنكي . لكن جدّية ابن بشكوال تجعلنا نعتقد أنه لم يُقدّم هذه الملاحظة بصفة اعتباطيّة .

وقد كتب الطّلمنكي خاصّة في علمي القرآن والحديث ووضع جملة من المؤلفات تُمكنّنا بعض المصادر من التّعرّف على عناوينها ، منها :
ــ «الدّليل إلى معرفة الجليل» . وقد ذكر عياض أنّه تأليف ضخم بلغ المائة جزء تقريبا[39] .
ــ «كتاب في تفسير القرآن» وقد قارب هو الآخر المائة جزء[40] .
ــ «كتاب البيان في إعراب القرآن»[41] .
ــ «فضائل مالك»[42] .
ــ «رجال الموطأ»[43] .

(35) فهرس ابن عطيّة ، ص 101 .
(36) نفسه ، ص 102 .
(37) ترتيب المدارك ، ص 750 .
(38) الصّلة ، رقم 92 .
(39) ترتيب المدارك ، ص 750 .
(40) نفس الإحالة .
(41) نفس الإحالة .
(42) نفس الإحالة .
(43) نفس الإحالة .

«الوصول إلى معرفة الأصول » وقد ذكر ابن خير الإشبيلي أنّه في «مسائل العقود في السنّة»[44] .

ــ «الرّسالة المختصرة في مذاهب أهل السنّة »[45] .

ــ «فهرسة »، لا شكّ أنّها تضمنّت ذكر شيوخه[46] .

ــ ردّ على ابن مسرّة[47] .

فنحن اذا ما اكتفينا بما هو واضح من هذه العناوين نلاحظ الاهتمام الكبير الذي أوْلاه الطّلمنكي لعلوم القرآن ، ثم لمالك وكتابه ، ثم لميدان الأصول والعقائد على مذهب أهل السنّة .

فمن خلال هذه الزّوايا المختلفة ــ التّلمذ ، التّدريس والرّواية ، التّأليف ــ لا يوجد ما ينمّ على أن الطّلمنكي أبدى ميلا إلى المذهب الخارجي . غير أننا نقول : إن هذا الاستنتاج مُنتظر . فتعرُّضنا إلى هذه الزّوايا كان من خلال شهادات مُنحازة في الواقع . فهي شهادات مَصادر سنّيّة مالكيّة قَبلت أن تَضع الطّلمنكي ضمن قائمات علمائها . فهي قد تكون حرصت على أن تنزع من ترجمته كل ما من شأنه أن يُشتمّ منه ميل ما إلى ما يُخالف السنّة .

ثمّ حتّى وإن قبلنا صحّة التّهمة ، هل كان المذهب الخارجيّ يُمثل آنذاك بالأندلس قوّة يُخشى منها خطر ما على الوضع القائم ؟ إنّ ذلك يبدو مستبعدا جدّا . فالأندلس لم تكن في يوم ما معقلا من معاقل الخوارج ، كما أثبتت الدّراسات أن الدّولة الأمويّة تمكّنت من التّغلّب على كل الاتجاهات اللاّسنّية ؛ بل إنّها نجحت في الوقوف أمام تسرّب المذاهب السنّية من غير المالكيّة[48] . أمّا في القرن الخامس فلئن وُجدتْ مملكة من ممالك الطّوائف عُرفت بأنها خارجيّة إباضيّة ــ وهي مملكة بني برزال بقرمونة واستجّة[49] ــ فهي مملكة بعيدة عن سرقسطة وطلمنكة ، ثم لا شيء يدلّ على

---

(44) ترتيب المدارك ، ص 750 ؛ ابن خير ، **فهرسة** ، بيروت ، ص 259 .

(45) ابن خير ، ص 259 .

(46) ابن خير ، ص 259 ؛ عياض ، **الغنية** ، ص 139 .

(47) عياض ، **ترتيب المدارك** ، ص 750 .

(48) أنظر مثلا : E. Levi-Provençal, **Histoire de l'Espagne Musulmane**, T.III, Paris 1953, p 453-454 et 470 et Sq.

(49) أنظر حولها ابن الخطيب ، **أعمال الأعلام** ، تحقيق إ.لفي بروفنسال ، ص 272 .

أنّ اعتناق هذا المذهب تجاوز العائلة البرزالية المالكة وامتدّ إلى السّكان . فهي عائلة بربريّة انتقلت إلى الأندلس من شمال إفريقيا[50] . والطّلمنكي لم يكن بربريًا بل يبدو أنّه من المولّدين ، وربّما من المولّدين قريبي العهد بالإسلام إذا ما اعتمدنا ما ورد في شجرة نسبه من أسماء[51] .

فما هي إذن حقيقة نعت الطّلمنكي بأنّه حروري ؟ إنّ الجواب قد يبرزُ لنا في اعتقادي ــ اذا ما تعرّضنا إلى التّهم الأخرى التي وُجّهت إلى أبي عمر. فقد ورد في إحدى التّراجم أنّ أعداء الطّلمنكي تحرّكوا ضدّه «لتشدّده على أهل عصره»[52] . وورد في ترجمة أخرى أنّه كان «يرى وضع السّيوف على صالحي المسلمين»[53] . فالطّلمنكي إذن كان شديدا على أهل عصره ولا يتأخر عن المطالبة بقتل حتى صالحي المسلمين . فالسؤال إذن : في أيّ شيء كان الطّلمنكي متشدّدا ؟

للإجابة عن هذا السؤال علينا أن نستعين ببعض ما ورد في التّراجم التي خُصّصت للطّلمنكي نفسه ، ومنها ما ذكره القاضي عياض نقلا عن أحد تلامذة الطّلمنكي من أن هذا الأخير كان «شديدا في كتاب الله تعالى ، سيفا على أهل البدع»[54] . ويبدو أنّ ابن بشكوال اعتمد نفس هذه الشّهادة لكن في عبارات أخرى ، فذكر أنّ الطّلمنكي «كان سيفا مجرّدا على أهل الأهواء والبدع ، قامعا لهم ، غيورا على الشّريعة»[55] فهذه الأوصاف تُبيّن لنا دوافع الشّدّة التي كانت عند هذا الشّخص ، وقد تُمكّننا في الوقت ذاته من أن نفهم لماذا اتهم بأنّه حروري .

فشدّة أبي عمر تكمن في نوع من التّصلّب فيما يتعلّق بأمور الدّين وهي تكمن كذلك في مقاومته العنيفة لكلّ ما يَعتبره بدعة ، وفي وُقوفه بصرامة ضدّ «أهل الأهواء» . والكلّ يعرف إلى أيّ نوع من الشّدّة قد يؤدي إليه التّشبّث بمثل هذه المواقف وإلى

---

(50) نفس الإحالة ؛ كذلك عبد الله عنان ، **دول الطّوائف** ، ط 2 ، القاهرة 1969 ، ص 148 .

(51) تُعطي المصادر نسبَه على النّحو التّالي : أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن لُبّ بن يحي بن محمد بن قزلمان المعافري . ف: «لبّ» و«قزلمان» هي بلا شك أسماء أعجمية معربة أنظر : ابن بشكوال ، **الصّلة** ، رقم 92 .

(52) أنظر ترجمة محمد بن غريب: ابن الأبّار ، **التّكملة** ، عزّت العطّار . رقم 1072 .

(53) نفس المصدر ، رقم 1071 .

(54) **المدارك** ، ص 750 .

(55) **الصّلة** ، رقم 92 .

أيّ مراقبة يمارسها صاحب هذه المواقف على الآخرين وخاصّة إزاء زملائه من العلماء ، إذ أنّه يرى ولا شكّ أنّهم أوْلى النّاس بالسّلوك مسلكا قويما.ويبدو أن أبا عمر ذهب إلى أقصى ما يُؤدّي إليه هذا الموقف ، وهو مُعاقبة «أصحاب البدع» «وأهل الأهواء» بالقتل حتى وإن كانوا من «صالحي المسلمين» أو من علمائهم . ويبدو كذلك أنّ هذا هو مُستند الجماعة في النّيل منه ونعته بأنه حروري.فحروري هنا لم تُستعمل ــ حسب اعتقادي ــ في المعنى الذي اصطلح عليه ، أي خارجي ، بل في معنى آخر ــ وصفي أكثر منه اصطلاحي ــ وهو معنى التّشدّد .

فحروري كما هو معروف نسبة إلى «حروراء» ، المكان الذي تجمّع فيه الرّافضون من أصحاب علي ، لمبدأ التّحكيم الذي قبلته الأطراف المتنازعة في «صفّين» ، وهو الحدث الذي تعتبره جلّ الدّراسات منطلق حركة الخوارج . وقد علّلت هذه المجموعة رفضها على أساس أنّ قبول التّحكيم هو نوع من الإقرار بالشّكّ في الوقوف إلى جانب الحق ، وأنّ من يعتقدْ سلامة موقفه لا يَرضخ إلى التّحكيم أي إلى قرار بشري ، بل يواصل الثّبات عليه والدّفاع عنه حتى يمنح اللهُ نصرَه من يشاء ، وهو لا يمنحه إلاّ لمن كان على حقّ . فكانت قولتهم المشهورة : «لا حُكم إلاّ لله»(56) .

ونحن نسجّل من كل هذا شدّة هذه المجموعة وتصلّبها واعتقادها الرّاسخ في الوقوف إلى جانب الحقّ والتّمسّك به . وقد جرت الأحداث فيما بعد ــ حسبما تذكره بعض المصادر ــ في اتجاه مفاوضات بين علي وأفراد هذه المجموعة . وإن لم تحتفظ لنا المصادر بكامل تفاصيل الحوار بين الطرفين ، فهي قد أوردت على الأقلّ ردود المتكلّمين باسم علي ، وهي ردود بإمكاننا أن نستشف منها بعضًا من حُجج مجموعة حروراء . وقد ورد فيها تذكيرهم ببعض المواقف السّابقة ، ومنها مشاركتهم في مقتل عثمان وقتالهم لمعاويّة . فهمُ قد شاركوا في الحادثة الأولى لأنّ عثمان أحدث أحداثا (أي بدعا) ، وقاتلوا معاوية لأنّه خالف كتاب اللّه وسنّة رسوله . كما أوردت هذه المصادر أنّ الطّرفين أخذا في الاتّجاه نحو نوع من الاتّفاق (57) ، لكن عدم تراجع علي عن قبول التّحكيم أفسد ذلك وزاد في اتّساع الخرق إذْ أفضى إلى انفصال مجموعات من أنصاره عن جيشه نهائيا وتجمعهم بنهروان كما هو معروف ، حيث قاتلهم(58).ولا شكّ أنّ أعدادا من «الحرورية» كانوا ضمن هذه المجموعات .

(56) أنظر : EI2, Harūrā, T III, p 242.

(57) نفس الإحالة ؛ كذلك البلاذري ، أنساب الأشراف ، تحقيق محمد باقر المحمودي ، ط 1. بيروت 1972، الصفحات : 336، 338، 342؛ و353-356 .

(58) أنظر EI2, Kharidjites, T IV, p1106.

ويُفترض أنّه قد تكون وُجدت في البداية تفرقة بين من أطلق عليهم اسم «المُحكّمة الأولى» ، ومن أطلق عليهم اسم «الحروريّة» ، ومن أطلق عليهم اسم «الخوارج» . فالتسمية الأولى ــ حسب هذا الرّأي ــ أطلقت على أولائك الذين كانوا أوّل من نادى بشعار «لا حكم إلاّ لله» . أمّا الثّانية فقد أطلقت على الذين حضروا بحروراء ، ثمّ دخلوا صفوف علي من جديد لكن دون التّنازل عن الاعتقاد في خطأ التّحكيم . أمّا الثّالثة فقد أطلقت على الذين خرجوا من جيش علي نهائيا لُيعلنوا القطيعة معه (59) .

والتّثبت من كل هذا يستدعي في الواقع أبحاثا مُعمّقة ، غير أنّه من المقبول أن نعتقد أنّ الحروريّة بحروراء لم يصبحوا بعد خوارج ، وأنّ ما تجلّى في حروراء هو موقف مَبدئي فيه تصلّب وتمسّك بما يعتقد أنّه الحقّ ، في حين أنّ ما وقع التّعبير عنه في مرحلة القطيعة فيه أكثر من ذلك ، إذ فيه اِلتزام نهائي بالمبادىء الخارجيّة التي عُرفت ولا شكّ آنذاك عددا من الأسس الأولى لتفكيرها السّياسي . أي في نهاية الأمر إذا كان من غير الممكن إطلاق صفة «خارجي» إلاّ على من اِلتزم بمبادىء الخوارج وعمل على إنجاحها ، فإن صفة «حروري» قد تُطلق حتى على من لم يلتزم بمبادىء المذهب الخارجي لكنّه مُتمسّك بمواقف فيها تصلّب وتشدّد(60)، وهو ما نعتقد أنّه وقع في قضيّة أبي عمر الطّلمنكي . فوُقوفه ضدّ البدع بقوّة وإظهاره التّمسّك الشديد بالكتاب والسّنّة ، وإفتاؤه على ما يبدو بجواز القتل لمن خالف ذلك حتى وإن كان «من صالحي المسلمين» ــ وهو موقف لا يُمكن إلا أن يُذكّرنا بموقف بعض فرق الخوارج الذين يُجيزُون إزاء أعدائهم المسلمين قتل الأبناء والنّساء ــ كلّ ذلك جعل خصومه يصفونه بأنه «حروري» . ونحن نرى أنّ في اختيار هذا الوصف إرادة للتّأكيد على شدّة أبي عمر المُشابهة لشدّة الخوارج ، وهو ما يستطيع هؤلاء الخصوم الدّفاع عنه لأنّه يبقى ــ إن صحّت العبارة ــ في مستوى نظري ؛ لكن دون الذّهاب إلى حدّ إلحاقه بالخوارج مذهبيًا ــ أي عقائديا وفقهيا وسياسيا ــ وهو ما لا يُمكنهم البرهنة عليه لأنّه يستدعي حججا وبراهين دقيقة لاشكّ أنّها لم تكن بحوزتهم .

(59) أنظر .EI2, Harūrā, TIII, p 243

(60) يذهب المقريزي إلى نوع من التّفرقة بين الحروريّة وبقيّة الخوارج ليجعلهم متفرّدين ببعض الآراء فيقول : «... وهم (أي الحروريّة) قوم من النّواصب الخوارج ، وهم مضادّون للمرجئة في النّفي والإثبات والوعد والوعيد . ومن مفرداتهم أنّ من ارتكب كبيرة فهو مُشرك ومذهب عامّة الخوارج أنّه كافر وليس بمُشرك ...» المقريزي خطط ، بيروت ، بدت. ج II، ص 350 .

ونحن نبقى في نهاية الأمر غير عارفين بالكيفيّة التي عبّر بها أبو عمر عن هذه الشدّة ، ولا بطُرق مقاومته للبدع ووُقوفه ضد أهل الأهواء . فإلى أي شيء كان أبو عمر يدعو ؟ هل لتقويم الاعوجاج الأخلاقي ؟ أو للوقوف ضد المناخ الذي ساد في ظلّ ملوك الطّوائف ؟ أو لمحاربة أصناف الفقهاء الذين حادوا عن أمور الدّين «وتكالبوا» وراء الدّنيا ؟ وهو نقد سيُعبّر عنه بشكل واضح أبو حامد الغزالي (450 هـ/1058 م ـ 505 هـ/1112 م) بعد نصف قرن من وفاة أبي عمر الطّلمنكي ، وقد أثار ضدّه هو الآخر عددًا من فقهاء عصره .

إنّ كلّ ذلك وغيره يدخل في تعريف البدع والأهواء، والعمل ضدّه هو عمل يدخل في الواقع في إطار مبدأ واسع هو مبدأ «الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر» . وهذا الإطار هو الذي يجب أن نتوقّف عنده لأنه في اعتقادي يُمثّل لبّ القضيّة التي نُناقشها : «قضيّة أبي عمر الطّلمنكي» .

فالمعروف أنّ الخوارج الْتزموا هذا المبدأ الْتزاما كلّيا ، وعملوا على تطبيقه بكلّ الوسائل ، ولم يتأخروا عن سلّ السّيوف لذلك[61] . وهذا الموقف مغاير تماما لموقف أهل السنّة عامّة والمالكيّة خاصّة . فهؤلاء وضعوا لتطبيقه شروطا ومراتب . ودون أن ندخل في تفاصيل ذلك نذكر أنّ أبرز هذه الشّروط هو أن لا يؤدي النّهي عن المنكر إلى مُنكر أعظم ، وأن لا يجرّ إلى ارتكاب ما هو أكبر مفسدة . لذلك ركن المالكيّة إلى استعمال اللين والمسالمة والاعتدال في تطبيقه ، وتجنبوا الدّعوة إلى استعمال العنف[62] ، لأن ذلك سيجرّ حتما إلى الفتنة . ورأيهم في الفتن مشهور[63] فكلّ مالكي مُطالب بتجنّب إشعالها مهما كانت الحالات .

فأبو عمر الطّلمنكي ، وهو الفقيه المالكي ، يُخالف إذن المالكية في مبدإ أساسي بما أنّه يرى استعمال السّيف لمقاومة البدع ، أي للنّهي عن «المنكر» . فهو إذن ، ومن هذه الزّاوية ، مُخالف بالفعل للسنّة ويلتحق بصنف «الحروريّة» في رؤيتها لتطبيق هذا المبدأ . هذا بالطبع إذا ما صدّقنا «التهمة الموجهة إليه . ونحن إن كنّا ذكرنا آنفا

(61) أنظر : أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ط 10 بيروت ، ج III ، ص 330 .

(62) أنظر مثلا : ابن عطيّة ، المحرر الوجيز ، فاس 1977 ، ج III ، ص 187-188 ؛ كذلك : الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، تونس 1984 ، ج III ، ص 41 .

(63) أنظر مثلا ما ورد على لسان أحد تلامذة مالك قول هذا الأخير : «سلطان جائر سبعين سنة خير من أمّة سائبة ساعة من النهار» . عياض ، المدارك ، كبير ، ج I-II ، ص 493 .

أن القاضي وجماعةً من المشاورين والفقهاء قد برّؤوا ساحته ، فنحن قد ذكرنا هذا فيما يتعلّق بانتماء الطّلمنكي إلى المذهب الخارجي ، لكننا نحن هنا في مستوى آخر من التحليل يتعلّق بالموقف إزاء مبدإ «الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر» ، ويبدو بالفعل أن أبا عمر كان مُتشدّدا في تطبيقه بشهادة عدد من كبار المالكية وفي مقدّمتهم عياض وابن بشكوال[64] .

فالقضيّة كما نلاحظ كبيرة الأهمّية إذ أنّه غير خاف أن تطبيق هذا المبدإ يؤدي إلى نتائج مختلفة ومتفاوتة الخطورة ، وذلك حسب الرّؤية إلى كيفيّة تطبيقه . فهذا المبدأ عمل في إطاره علماء ورعون ، لكن كذلك دعاة سياسيون وثوّار راغبون في قلب الأوضاع . فإلى أي صنف من هؤلاء انتمى أبو عمر الطّلمنكي ؟ إنّه من الصّعب جدّا أن نُجيب عن ذلك ؛ غير أنّه هنا لا يُمكننا أن لا نقرّب بين أبي عمر وبين شخصيّة أخرى مُعاصرة له ــ لكنّها أكثر شُهرة نسبيا ــ قامت بنشاط مُشابه ، ونعني شخصيّة أبي عمران الفاسي (363 هـ/973 م ــ 430 هـ/1038 م) .

فأبو عمران نشط بفاس ضدّ الأهواء والبدع ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر . لكن السّلط بالمدينة تتبّعته وأطردته منها ليستقرّ بالقيروان بعد أن تنقّل بين عدّة مناطق ، فكان له بها نشاط كبير[65] . فهل كان أبو عمر الطّلمنكي أبا عمران آخر بالأندلس ، داعية إلى الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر ــ وهو نشاط سياسي في نهاية الأمر ــ فقامت ضدّه السّلطة وحرّكت فقهاءها فوقعت مطالبته تلك أمام القضاء ؟ إنها تساؤلات نُلقيها لكن دون أن نستطيع الإجابة عنها نظرا إلى قلّة المعلومات خاصّة حول أبي عمر الطّلمنكي . لكننا نُسجّل على كلّ حال التّشابه الكبير بين الرّجلين ، وهو تشابه يتجاوز هذا النّشاط لنجده في أكثر من مجال ، كأماكن الدّراسة ، ونوعيّة التّكوين ، والاختصاصات العلميّة ؛ ثمّ كذلك في نوع من التّشابه في مصير الرّجلين . فقد ذكر

(64) أنظر أعلاه ، هامش 54 و55 .

(65) يقول صاحب بيوتات فاس (**مجلة البحث العلمي** ، المغرب ، العدد III ، سبتمبر ــ ديسمبر 1964) ، ص 59) مُحدّثا عن أبي عمران الفاسي إنّ «أهل فاس أخرجوه من مدينة فاس لنهيه لهم عمّا أحدثوه من البدع والمظالم والمغارم وأخذهم أموال النّاس بغير حق ، وأعانوا على ذلك وُلاة أمرهم من بني أبي العافية المكناسيين ومغراوة وبني يفرن وكلّهم من زناتة من البربر ... ولذلك نهاهم أبو عمران ، فأخرجوه بسبب ذلك ، واستقرّ بالقيروان» .
أنظر حول أبي عمران عامّة : H.R. Idris, deux maitres de l'école juridique Kairouanaise sous les Zirides, A.I.E.O.XIII, 1955, pp42-60 .

ابن بشكوال أنّ أبا عمر «قصد طلمنكة آخر عمره (أي بعد القضيّة بما أنّها وقعت بسرقسطة سنة 425 هـ/1033 م وتوفي هو سنة 429 هـ/1037 م) فتوفّي فيها بعد طول التّجوّل والاغتراب»[66] . وهذه العبارات الأخيرة قد تكون دالة على طول تجوّل أبي عمر مدّة حياته[67] ، أو كذلك على اغترابه إثر خروجه من سرقسطة بعد الحادثة ، مما يُمثّل نوعا من الإبعاد كالذي وقع لأبي عمران الفاسي .

فنشاط أبي عمر يأتي كمُرادف لنشاط أبي عمران الفاسي وغيره من فقهاء تلك الفترة ليؤكد لنا أنّ صنفا من فقهاء المناطق المغربيّة كان يتحرّك خلال القرن الخامس ضدّ الوضع القائم . وهو تحرّك أفضى كما هو معروف إلى ذلك الإنجاز الضّخم المُتمثّل في قيام دولة المرابطين «دولة الفقهاء» على حدّ تعبير البعض [68] ، وقد حملت مشروع إصلاح قوامه العودة إلى أمور الدّين في كل ما يتعلّق بالحياة العامّة[69] ، وعلى أساسه عمل قسم من فقهاء الأندلس على التّحالف مع رجالها ودعوتهم إلى الأندلس لنجدتها ضدّ النّصارى[70] ثمّ للقضاء على ملوك الطّوائف[71] .

بين الشّعراء والنّحاة

قال أحد الشعراء : [البسيط] :

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الْمُسْتَعْرِبِينَ وَمِنْ قِيَاسِ ، قولهم هذا الذي ابْتَدَعُوا
إنْ قُلْتُ قَافِيَةً بِكْرًا يَكُونُ لَهَا مَعْنًى يُخَالِفُ مَا قالُوا ومَا وَضَعُوا
قَالُوا : لَحَنْتَ وهذا الحَرْفُ مُنْتَصِبٌ وَذَاكَ خَفْضٌ ، وَهَذَا لَيْسَ يَرْتَفِعُ
وَضَرَّبُوا بَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ واجْتَهَدُوا وبين زَيْدٍ ، فطَالَ الضَّرْبُ والوَجَعُ

المقّري : النفح : 144/4

---

(66) ترجمة الطّلمنكي ، **الصّلة** ، رقم 92 .

(67) يذكر عياض (**ترتيب المدارك** ، ج IV-III ، ص 750) أنّ الطّلمنكي «سكن قرطبة وأقرأ بها ، ثم سكن ألمريّة ثم ألبيرة ثم سرقسطة ثم عاد إلى بلده طلمنكة...» هذا إضافة إلى الأماكن التي تنقّل بينها أثناء رحلته العلميّة .

(68) أنظر : G. Marçais, **La Bérbérie Musulmane et l'Orient au moyen-âge** Paris 1946, p 241.

(69) أنظر حول بعض نقاط هذا البرنامج : ابن أبي زرع ، **روض القرطاس** ، الرّباط 1973، ص 125 وما بعدها .

(70) أنظر ابن الأثير ، **الكامل**، بيروت 1966 ، المجلّد X ، ص 151–152 .

(71) يقدّم لنا عبد الله بن بلكين في مذكراته صورا مختلفة من هذا السّعي . انظر كتاب **التّبيان**، تحقيق إ.لفي بروفنسال ، خاصة ص 109–110 .

دراسة في موارد أبي عبيد البكري
عن تاريخ إفريقية والمغرب

بقلم د. عبد الواحد ذنون طه
كلّية التربية / قسم التاريخ / جامعة الموصل

تمهيد :

أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، من علماء الأندلس الكبار الذين نبغوا في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، وهو موسوعي الاتجاه ، اهتم بموضوعات متعددة ، أهمّها الجغرافية ، والتّاريخ ، وعلوم اللّغة ، والنبات، والشعر . لكن اهتمامه بالجغرافية غلب على بقية العلوم الأخرى ، فكان بحق أعظم جغرافي أنجبته الأندلس قاطبة . ولقد دُرِسَ البكري الجغرافي دراسة مستفيضة ، وأُعدت عنه بحوث قيمة ودراسات جليلة الشأن . ونشير في هذا المجال إلى ما كتبه المستشرق الروسي كراتشكوفسكي (1884-1951)(1) ، وإلى الدراسة القيمة التي ضمنها عنه الأستاذ الدكتور حسين مؤنس في موسوعته الجغرافية الفريدة عن الأندلس ، (2) وكذلك دراسة الدكتور عبد الله يوسف الغنيم ، الّتي تناولت مصادر البكري ، ومنهجه الجغرافي بالتفصيل(3) .

---

(1) اغناطيوس يوليانوفتش كراتشكوفسكي ، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي** ، نقله عن الروسية : صلاح الدين عثمان هاشم ، ط 2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1987 ، ص 296-302 . سيشار لهذا المرجع عند وروده فيما بعد هكذا : كراتشكوفسكي .

(2) حسين مؤنس ، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس** ، منشورات معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، 1967، ص 108-148 سيشار لهذا المرجع عند وروده فيما بعد هكذا : مؤنس ، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين** .

(3) عبد الله يوسف الغنيم ، **مصادر البكري ومنهجه الجغرافي** ، ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع ، مطبعة المدني ، القاهرة، 1974 .

وعلى الرغم من أهمية البكري في حقل الدراسات التاريخية ، وعنايته الكبرى بالتّاريخ ، لم تخصص حسب علمي ، دراسة مستقلة عنه في هذا المجال الرحب ، الذي أبدع فيه أيما إبداع ، حيث قدم في ثنايا كتابه القيم **«المسالك والممالك»** معلومات تاريخية على درجة كبيرة من الأهمية للمناطق التي تحدث عن جغرافيتها . وقد جاءت إشارات الباحثين إلى هذه الناحية المهمة بشكل مقتضب ، نظرا إلى تركيزهم على الملكة الجغرافية عند البكري .

إن الحديث عن البكري المؤرخ يتطلب الإحاطة التامة بكل ما كتبه في مؤلفاته ، لا سيما **«المسالك والمالك»** ، الذي تناول فيه جغرافية العالم المعروفة على عهده ، حيث وقف عند كل موضع وقعت فيه حادثة تاريخية وتحدث عنها بالتفصيل . ونظرا إلى ضخامة الكتاب ، وفقدان بعض أجزائه ، وتوزع مادته على شكل قطع منشورة أو في صورة مخطوطات عديدة في مكتبات شتى في العالم[4] ، فقد اقتصرت هذه الدراسة على القطعة الخاصة بشمال إفريقيا ، التي نشرها المستشرق الفرنسي دي سلان De Slane في الجزائر سنة 1857 بعنوان **«المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب »** ، وأعيد طبعها مرة أخرى في باريس سنة 1911 .

ولغرض التوصل إلى فهم دقيق لجهود البكري التاريخية ، تمّ التركيز في هذا البحث على موارده التي استقى منها معلوماته عن تاريخ إفريقية والمغرب ، لأن دراسة هذه الموارد ، والإحاطة بها يساعد كثيرا على معرفة المنهج التاريخي الذي سار عليه البكري ، ويبين بوضوح الأصول التي اعتمدها لدعم رواياته التاريخية ، وقصد منها استكمال صورة الوصف الشامل للمناطق والبلدان التي تحدث عنها . وقد تبين من خلال هذا البحث أن موارده كانت متنوعة ، فهو قد اعتمد الروايات الشفوية ، إلى جانب الكتب والوثائق المدونة ، والبيانات الرسمية . ولم يقتصر على موارد محددة ، بل تنوعت لديه الأصول بين مشرقية ومغربية ، حيث تشير ملاحظاته إلى اطلاعه الواسع على معظم الروايات والكتب التي كانت متوفرة في عصره .

عاش البكري في عصر الطوائف في الأندلس ، وقضى معظم حياته متنقلا من مكان إلى آخر في ذلك العصر الحافل بالمآسي والقلق وعدم الاستقرار السياسي . وهو

---

(4) للاطلاع على المزيد من المعلومات بشأن مخطوطات الكتاب وأماكن تواجدها انظر : مؤنس ، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين** ، ص 132–137، الغنيم ، **مصادر البكري ومنهجه الجغرافي** ، ص 58–66 .

ينتمي إلى بيت شرف وإمارة ، فكان آباؤه أصحاب ولبة Huelva وشلطيش Saltes على ساحل المحيط الأطلسي إلى الغرب من إشبيلية Seville ، اللتين استولوا عليهما بعد انهيار الخلافة الأموية في قرطبة Cordoba ، وظلوا فيهما حتى تغلب عليهم المعتمد بن عباد (ت 488 هـ/1095 م) ، فلجأ والد البكري إلى قرطبة وأقام فيها ومعه إبنه أبو عبيد . وهناك أتم البكري دراسته والتقى بابن حيان المؤرخ القرطبي المعروف (ت 469 هـ/1079 م)، وانتقل أبو عبيد بعد ذلك إلى مدينة المرية Almeria وعرف حاكمها المعتصم محمد بن صمادح (ت 484 هـ/1091 م) ، الذي أرسله في مهمة دبلوماسية إلى بلاط المعتمد بن عباد بإشبيلية . وقد استقر البكري لفترة من الزمن في إشبيلية ، لكنه غادرها إلى قرطبة بعد استيلاء المرابطين عليها ، وظل في قرطبة حتى وفاته عام 487 هـ/1094 م[5] .

ألف البكري كتابه «**المسالك والممالك**» في منتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي ، وفرغ من كتابته في حدود عام 460 هـ/1068 م . وكان وثيق الصلة بمعاصريه من المؤرخين والمحدثين والأدباء ، من أمثال ابن حيان ، وأحمد بن عمر العذري (ت 478 هـ/1085 م) ، وأبي عمر بن عبد البر (ت 463 هـ/1070 م) وغيرهم . ولم يكتب البكري كتابه هذا وصفا لرحلة قام بها ، أو مشاهدات اطلع عليها ، فهو لم يزر المغرب أبدا ، بل اعتمد غالبا على المعلومات التي وقعت تحت تصرفه ، والبيانات التي عثر عليها في الأندلس . لهذا فقد جاء وصفه للمغرب وصفا دقيقا عظيم الفائدة[6] . وقد حاول من خلال مزج التاريخ بالجغرافية أن

---

(5) للمزيد من المعلومات عن حياة أبي عبيد البكري وأسرته انظر : أبو القاسم خلف بن بشكوال (ت 578 هـ/1183 م) ، **كتاب الصلة** ، 2 م ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، 1966 : 1/287-288 ؛ محمد بن عبد الله بن بكر القضاعي المعروف بابن الأبار (ت 658 هـ/1260 م) ، **الحلة السيراء** 2 م ، تحقيق : حسين مؤنس ، الشركة العربية للطباعة والنشر ، القاهرة ، 1963:2/181-184 ، 186؛ انخل جنثالث بالنثيا ، **تاريخ الفكر الأندلسي** ، ترجمة : حسين مؤنس مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، 1955 ، ص 309-310 ؛ كراتشكوفسكي ، ص 297 ؛

Pons Boigues, **Los Historiadores Y Geografos Arabigo-Espanoles**, Amesterdam, 1972, reprint of Madrid edition, 1898, pp. 160-162; **Encyclopaedia of Islam**, second edition, artical «ABÛ 'UBAYD AL-BAKRI».

(6) أنظر : حسين مؤنس ، **فتح العرب للمغرب** ، مكتبة الجماميز ، القاهرة ، 1947 ، ص 305 ؛ محمد الطالبي ، **الدولة الأغلبية** ، تعريب : المنجي الصيادي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1985، ص 15 .

يقدم صورة واضحة لهذه البلاد مبينا تاريخها منذ أقدم العصور ، مستعينا بما توفر لديه من موارد عربيّة أو أجنبية. ويتمثل اعتماده على المصادر الأخيرة في الحديث عن أوّليّة المدن المغربية ، وأصولها الرومانية والبيزنطية ، مثال ذلك وصفه لمدينة بونة ، عنابة الحالية ، بأنها : « أولية وهي مدينة إقشتين العالم بدين النصرانية »[7] وهو يعني به القديس اغسطين (St. Augustine) ، أشهر رجال الكنيسة الكاثوليكية في شمال إفريقيا ، المتوفى سنة 430 م[8] .

ويحرص البكري في وصفه لمناطق المغرب على تقديم أحدث المعلومات التاريخية عنها إلى العصر الذي عاش فيه ، فيشير إلى الأحداث ، ويقرنها بالسنوات المعاصرة . فعندما يتحدث عن الحموديين مثلا ، يوصل تاريخهم إلى آخر سنة 460 هـ/1068 م ، وهي السنة التي أنجز فيها تأليف كتابه[9] . ومن مزاياه الأخرى أنه لا يكتفي بالحديث عن تاريخ البلد وجغرافيته ، بل يشير إلى أوضاعه العامة وتجارته أيضا ، فيقدم بذلك وصفا دقيقا وشاملا للمنطقة التي يتحدث عنها ، فيقول عن قلعة أبي طويل على سبيل المثال إنها : «قلعة كبيرة ذات منعة وحصانة وتمصرت عند خراب القيروان ... وهي اليوم مقصد التجار وبها تحل الرحال من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب ، وهي اليوم مستقر مملكة صنهاجة وبهذه القلعة احتصن أبو يزيد مخلد بن كيداد من إسماعيل ...[10] » .

وعلى الرغم من هذه المزايا لا يخلو الكتاب من بعض المبالغات ، مثل إشارته إلى قتل أبي عبد الله الشيعي (ت 299 هـ/911 م) لثلاثين ألف رجل في مسجد مدينة الأربس سنة 296 هـ/908 م ، ومن الواضح أن البكري انساق إلى هذه المبالغة لإضفاء صفة القسوة والوحشية على هذا الداعية الفاطمي[11] . كما تضمن الكتاب أيضا بعض

---

(7) أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري ، (ت 487 هـ/1094 م) ، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب** ، نشر : دي سلان ، الجزائر ، 1857 ، ص 54 . سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا : البكري ، **المغرب** .

(8) أنظر : شارل أندري جوليان ، **تاريخ إفريقيا الشمالية** ، جزءان ، تعريب : محمد مزالي والبشير ابن سلامة ، ط 5 ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1985، : 304/1 ، 305، 326 ، سعد زغلول عبد الحميد ، **تاريخ المغرب العربي** ، جزءان ، منشأة المعارف ، الإسكندرية، 1979 : 119/1-120 .

(9) البكري ، **المغرب** ، ص 134 ، وانظر أيضا ص 55، 87 .

(10) المصدر نفسه ، ص 49 .

(11) المصدر نفسه ، ص 46 .

الأساطير آلتي ربما اعتمد البكري في إيرادها على بعض الكتب القديمة آلتي يسميها بـ «كتب الحدثان»[12] . وعلى أي حال فإنّ موارد البكري الرئسية آلتي اعتمدها في ثنايا مؤلفه تشمل أصولا عديدة أخرى تتصف بالأصالة والوثوق ، ويمكن تصنيفها على الشكل آلآتي :

أولا : الروايات الشفوية ..

ثانيا : الوثائق والكتب المدونة ، وهي إما :

أ ـ مشرقية : وتشمل :

1 ـ **كتاب فتوح مصر وأخبارها ، أو فتوح مصر والمغرب والأندلس** لابن عبد الحكم ، والأصول الأولى التي اطلع عليها هذا المؤرخ .

2 ـ **كتاب الأخبار** للنوفلي .

ب ـ مغربية : وتشمل :

1 ـ **مؤلفات** محمد بن يوسف الوراق .

2 ـ كتاب **مغازي إفريقية** لأبي جعفر أحمد المعروف بأبن الجزار

3 ـ كتاب **تاريخ إفريقية** لعبد الله بن أبي حسان اليحصبي .

4 ـ كتاب **فتوح إفريقية** لعيسى بن محمد بن سليمان بن أبي المهاجر .

أولا : الروايات الشفوية :

هناك الكثير من الروايات الشفوية التي أوردها البكري معتمدا على سماعه من أشخاص أو جماعات ، لكنه نادرا ما يشير إلى اسم الراوى المباشر الذي نقل إليه الخبر . ويكتفي أحيانا بكلمة «قالوا»[13] ، ثم يورد الخبر ، أو يقول : «وروى الثقات عن»[14] ، ثم يسمي الشخص المنقول عنه الخبر، وغالبا ما يكون هذا الشخص قد

(12) المصدر نفسه ، ص 31، وآنظر أيضا ص 38 ؛ وقارن : أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد التجاني (ت 717 هـ/1317 م) ، **رحلة التجاني** ، تقديم حسن حسني عبد الوهاب ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا ـ تونس ، 1981 ، ص 8 .

(13) البكري ، **المغرب** ، ص 112 .

(14) المصدر نفسه ، ص45 .

عاش في زمن بعيد عن البكري ، لهذا لا تستطيع أن تتبع سلسلة الرواة الذين نقلوا الخبر . ومن هؤلاء الذين نقل عنهم بهذه الطريقة عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، قاضي إفريقية المتوفي سنة 161 هـ/777 م، وإسحاق بن عبد الملك الملشوني ، الذي كان معاصرا للأمير محمد بن الأغلب (227–242 هـ/841–856 م). واتبع البكري نفس الطريقة في ذكر بعض الأحاديث النبوية الشريفة عن فضل إفريقية ، حيث يستعمل عبارة : «روى جماعة» أو عن فلان ، ثم يورد سلسلة الإسناد التي تنتهي بمن سمع رسول الله صلّى اللّه عليه وسلم[15] .

ويذكر البكري روايات عن شهود عيان حدثوه ببعض المظاهر الاجتماعية في مناطق مختلفة من بلاد المغرب ، لكنه لا يذكر اسم هؤلاء الرواة ، بل يكتفي بالإشارة إليهم بعبارات يفهم منها أنه رآهم وحدثهم كأن يقول : «وأخبرني غير واحد أنه رأى ...»[16] ، أو «وأخبرني من ضاف منهم رجلا...»[17] . ويشير البكري في ذكره لمثل هذه الروايات الشفوية أحيانا إلى اسم شاهد العيان الذي يروي عنه الخبر ، ويحاول التعريف به تعريفا مقتضبا ، لا يساعد في الغالب على تكوين فكرة متكاملة عنه . مثال ذلك قوله : «... وأخبر أبو الفضل جعفر بن يوسف الكلبي ، وكان كاتبا لمؤنس صاحب إفريقية ...»[18] . كذلك قوله : «وذكر محمد بن سعيد الأزدي رجل من أبناء صفاقس أنه دخلها ...»[19]

ولا توجد في الكتب المعروفة لدينا تراجم لمعظم الرواة الذين يشير إليهم البكري ، وربما كان بعضهم من العلماء المهتمين بأخبار المغرب ، أو من التجار ، أو الرحالة ، الذين التقى بهم ، مثل مؤمن بن يومر الهواري ، الذي يدل اسمه على أنه من قبيلة هوارة البربرية ، وقد أخذ عنه البكري مشافهة نصوصا عديدة لا سيما نصه الخاص ببناء مدينة وجدة في المغرب بعد سنة 440 هـ/1048 م[20] . كذلك الفقيه أبو محمد عبد الملك بن نخاس الغرفة ، الذي حدثه بأخبار غانة وسير أهلها .[21] كما استفاد البكري أيضا من رجل آخر يدعى أبو العباس فضل بن مفضل

(15) المصدر نفسه ، ص 21 .
(16) المصدر نفسه ، ص 102 .
(17) المصدر نفسه ، ص 49 .
(18) المصدر نفسه ، ص 18–19 .
(19) المصدر نفسه ، ص 14–15 .
(20) المصدر نفسه ، ص 86، 87–88 .
(21) المصدر نفسه ، ص 180 .

ابن عمرو المذحجي في رواية أخبار قبيلة برغواطة، وظهورها على مسرح الأحداث في المغرب العربي[22]. وأشار أيضا إلى أسماء رواة آخرين اعتمد عليهم في حديثه عن الأدارسة في المغرب الأقصى، ومن هؤلاء أحمد بن الحارث بن أبي عبيدة اليماني، ومحمد بن إبراهيم بن محمد بن القاسم[23] والقاضي محمد بن عمر الصدفي[24].

ثانيا: الوثائق والكتب المدونة:

أ ــ المشرقية:

1 ــ كتاب فتوح مصر وأخبارها، أو فتوح مصر والمغرب والأندلس لابن عبد الحكم، والأصول التي اطلع عليها هذا المؤرخ.

اعتمد البكري في بعض الرّوايات التّاريخية التي أوردها عن فتح شمال إفريقيا على عبد الرّحمان بن عبد الله بن عبد الحكم، الذي يعد من المؤرخين المسلمين الأوائل الذين دونوا أحداث الفتح العربي الإسلامي لشمال إفريقيا[25]. ومن المعتقد أنه اطلّع على كتاب هذا المؤرخ الخاص بفتوح مصر والمغرب والأندلس، لأنّه يشير إليه مباشرة في بعض النصوص التي ينقلها عنه بعبارة: «قال ابن عبد الحكم...»[26] ويلاحظ بأن البكري لا يدخل في تفاصيل الروايات المتعددة التي يذكرها ابن عبد الحكم، ولا يتبع تسلسله في ذكر الأحداث، بل يكتفي بما يتلاءم مع منهجه في مزج المعلومات الجغرافية بتاريخ المناطق التي يتحدث عنها[27].

---

(22) المصدر نفسه، ص 137-138.

(23) المصدر نفسه، ص 121.

(24) المصدر نفسه، ص 126.

(25) عبد الرّحمان بن عبد اللهبن عبد الحكم (ت 257 هـ/871 م)، **فتوح مصر وأخبارها**، نشر: شارلس توري، نيوهيفن، 1921، انظر مقدمة توري (بالإنقليزيّة)، ص 1. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: ابن عبد الحكم، **فتوح**؛ وانظر: كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي** نقله إلى العربيّة: عبد الحليم النجار، دار المعارف، القاهرة، 1969: 75/3؛

Pons Boigues, Op. Cit., pp. 411-412; **Encyclopaedia of Islam**, First edition, artical : «IBN 'ABD AL-ḤAKAM».

(26) البكري، **المغرب**، ص 12.

(27) قارن: المصدر نفسه، ص 12-14؛ ابن عبد الحكم، **فتوح**، ص 194-196.

ولا يشير البكري في ذكره لبعض الأخبار الأخرى إلى ابن عبد الحكم ، ولكنه يسند هذه الأخبار مباشرة إلى المحدثين المصريين الذين اعتمدهم ابن عبد الحكم في سلسلة إسناده ، لا سيما الليث بن سعد (ت 175 هـ/791 م). وهذه الأخبار التاريخية الخاصة بالفتح تكاد تتفق حرفيا مع ما رواه ابن عبد الحكم مستندا إلى هذا المحدث[28]. ومن جهة ثانية يورد البكري روايات تاريخيّة أخرى دون إسناد ، وبالمقارنة مع ابن عبد الحكم يتبين أنّها مأخوذة عنه ، حيث نجدها لدى الأخير بتفصيل أكبر ، ومسندة إلى سلسلة رواته المعروفين[29] .

وعلى الرغم من استخدام البكري لكتاب ابن عبد الحكم ، وأخذه عنه ، لكنه اطلع أيضا على الأصول الأولى التي كانت في متناول هذا المؤرخ المصري ، ويدل على ذلك وجود روايات أخرى لدى البكري لا نعثر عليها عند ابن عبد الحكم ، منها مثلا الرواية التي يسندها إلى حنش بن عبد ٱللّه الصنعاني (ت 100 هـ/718 م) ، الخاصة بفتح جزيرة جربة[30].وحنش هذا هو أحد شهود العيان الذين شاركوا في فتح المغرب العربي ، ويروي عنه بعض المحدثين الذين يعتمدهم ٱبن عبد الحكم في سلسلة إسناده[31] . كذلك يشير البكري ، دون إسناد ، بصورة مفصلة إلى رواية فتح مدينة سوسة على يد عبد ٱلله بن الزبير (ت 73 هـ/692 م) ، في حملة معاوية بن حديج السكوني[32].وهذه الرواية غير موجودة عند ٱبن عبد الحكم ، وهي مذكورة في **البيان المغرب** ، حيث ينسبها ابن عذاري[33] ، إلى الطبري ، ولكن لا يرد في المطبوع من كتاب **تاريخ الرسل والملوك** للطبري أي ذكر لهذه الرواية[34] ، وهي على الأغلب

(28) أنظر : البكري **المغرب** ، ص 5 ، 8-9 ؛ وقارن : ابن عبد الحكم **فتوح** ، ص 170-171 .

(29) البكري ، **المغرب** ، ص 210 ؛ وقارن : ابن عبد الحكم ، **فتوح** ، ص 171 .

(30) البكري ، **المغرب** ، ص 19 .

(31) أنظر : ابن عبد الحكم ، **فتوح** ، ص 7 ، 277، 278 .

(32) البكري **المغرب** ، ص 34-35 .

(33) أبو العباس أحمد بن محمد بن عذاري (كان حيا سنة 712 هـ/1312 م) ، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ، 2 م ، نشر : ج . س . كولان ، وليفي بروفنسال ، لبدن ، 1948 : 16/1 . سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا : ابن عذاري ، **البيان** .

(34) أنظر : أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ/922 م) ، **تاريخ الرسل والملوك** 15 م ، نشر : دي غوية ، ليدن ، 1879-1901 : 84/2 . سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا : الطبري ، **تاريخ** ؛ عبد الواحد ذنون طه ، «موارد ابن عذاري المراكشي عن شمال إفريقيا من الفتح إلى بداية عهد المرابطين» **مجلة المجمع العلمي العراقي** ، م 36 ، ج 4 (1975) ، ص 258 .

من الأصول المشرقية التي وقعت بيد البكري ، الأمر الذي يؤيد اعتماده على هذه الأصول الأولى بالإضافة إلى كتاب ابن عبد الحكم نفسه .

2 ــ كتاب **الأخبار** لعلي بن محمد بن سليمان النوفلي :

لا نعلم شيئا عن حياة هذا المؤرخ ، الذي روى عن أبيه وعمه ، وعن أبي مخنف (ت 157 هـ/774 م)، وغيرهم .[35] وقد أشار إليه المسعودي ، ونقل عن **كتابه الأخبار** بعض الروايات التي تتعلق بالعصر الأموي[36] . كما كان أيضا من مصادر أبي الفرج الأصفهاني (ت 356 هـ/966 م) ، ونصر بن مزاحم (ت 212هـ/872 م) ، والطبري . وقد اعتمد عليه الأخير في رواية بعض الأخبار عن الخلفاء العباسيين ، لا سيما أبي جعفر المنصور (136-158 هـ/754-775 م) ، والمهدى (158-169 هـ/775-785م) ، والهادى (169-170 هـ/785-786 م) ، والرشيد (170-193 هـ/786-809 م)[37] كما روى عنه البلاذري أيضا بقوله «حدثني» الأمر الذي يشير إلى أنه كان من شيوخه[38] . ولكن اهتمام النوفلي بأخبار المغرب إضافة إلى المشرق حمل بعض الباحثين على التساؤل والشك فيما إذا كان هو نفس المؤرخ الذي يعد حجة في تاريخ المغرب[39] .

---

(35) أنظر : فؤاد سزكين ، **تاريخ التراث العربي** (التدوين التاريخي) ، نقله إلى العربية : محمود فهمي حجازي ، نشر : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، 1403 هـ/1983 م : م1 ، ج 2 ص 136 .

(36) علي بن الحسين بن علي المسعودي (ت 346 هـ/957 م) ، **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ، 4 م ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط 4 ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1964 : 13/1 ، 24/3 ، 86، 88، 89، 91، 242 .

(37) الطبري ، **تاريخ** : 328/3-329، 346، 390، 414، 418، 422-423، 450-455، 506، 509، 515، 516، 533-534، 536، 541، 543، 548، 550، 563، 590، 596، 608 .

(38) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت 279 هـ/892 م) ، **أنساب الأشراف** ، تحقيق : الشيخ محمد باقر المحمودي ، بيروت ، 1974 : 196/2-197؛ وأنظر أيضا : محمد جاسم حمادي ، **موارد تاريخ البلاذري** 2م ، مكتبة الطالب الجامعي ، مكة المكرمة ، 1407 هـ1986 م : 670/2 .

(39) فرانتز روزنتال ، **علم التاريخ عند المسلمين** ، ترجمة : صالح أحمد العلي ، مكتبة المثنى ، بغداد ، 1963 ، ص 692 .

اعتمد البكري على هذا المؤرخ ، لا سيما في ذكر قيام دولة الأدارسة ، والأحداث التي مرت بها منذ إنشائها في عهد إدريس الأول (ت 175هـ/793 م) ، الذي فر من معركة فخ بسنة 169 هـ/785 م، إلى ترعرعها وتركز دعائمها في عهد خلفاء إدريس الأول . ويشير البكري إلى اسم النوفلي كاملا «أبو الحسن علي بن محمد ابن سليمان النوفلي»[40] كما يشير إليه في أثناء نقل الروايات عدة مرات ؛ ويروي النوفلي عن أبيه ، وعن غيره ، ويعتمد أحيانا شهود العيان في رواية أخباره ، منها قوله عن قاتل إدريس الأول ، سليمان بن حريز الجزري ، الذي أصيب بجراح على يد راشد مولى إدريس : «...فحدثني من رآه بعد قدومه العراق مكتعا ...»[41] ويشير النوفلي أيضا إلى شخص آخر بقوله : «أخبرني عيسى بن جنون قاضي أرشفول لإدريس بن عيسى ...»[42] ويبدو أنه كان يستقي أخباره عن المغرب من العلماء الذين كانوا يفدون إلى المشرق لغرض الحج ، أو التجارة ، أو القيام بالرحلات العلمية ، من أمثال القاضي عيسى بن جنون ، وغيره من العلماء الآخرين .

وقد اعتمد مؤرخون آخرون على روايات النوفلي المنقولة عن البكري في ذكر أحداث قيام دولة الأدارسة ، مثل ابن الأبار (ت 658 هـ/1260 م)،[43] والمؤلف المجهول **لكتاب الاستبصار**[44] ، وابن عذاري المراكشي ، (كان حيا سنة 712 هـ/1312 م)،[45] الذي يشير إلى كتاب باسم «**المجموع المفترق**» ينسب فيه هذه الأخبار إلى النوفلي ، والرقيق القيرواني (ت بعد سنة 417 هـ/1026 م). ويحتمل أنّ هذا الكتاب كان يضم مجموعة من المؤلفات الخاصة بالمغرب العربي ، جمعت في مجلد واحد ، وكانت معروفة في عهد ابن عذاري بهذا الاسم[46] . وقد اطلع

(40) البكري **المغرب** ، ص 118 .
(41) المصدر نفسه ، ص 121 .
(42) المصدر نفسه ، ص 122 .
(43) **الحلة السيراء** : 1/53-54 ؛ وانظر : ليفي بروفنسال ، **الإسلام في المغرب والأندلس** ، ترجمة : السيد محمود عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين حلمي ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، القاهرة ، 1956 ، ص 24 .
(44) مجهول المؤلف (من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي) ، **كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار** ، دار آفاق عربية ، بغداد ـــ دار النشر المغربية ، 1987 ، ص 194 196 ، سيشار إلى هذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا : **الاستبصار** .
(45) ابن عذاري ، **البيان** ؛ 1/83 .
(46) قارن : طه ، موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن شمال إفريقيا ، ص 254 .

البكري على رواية النوفلي في هذا الكتاب ، أو قرأها في كتابه المسمى **بالأخبار** ، والذي كان يضم ، كما أسلفنا ، روايات مشرقية تتناول تاريخ الأمويين والعباسيين .

ب ـــ الوثائق والكتب المغربية :

1 ـــ مؤلفات محمد بن يوسف الوراق :

تشكل مؤلفات هذا الجغرافي والمؤرخ، القيرواني المولد أحد الأصول الفريدة التي اعتمدها البكري في **مسالكه** ، ونخص بالذكر هنا ما دونه الوراق عن **مسالك إفريقية وممالكها** ، وتاريخ بعض مدنها القديمة . يرجع أصل الوراق إلى أسرة كانت تسكن في مدينة وادي الحجارة (Guadalajara) بالأندلس ، ثم نزحت إلى شمال إفريقيا ، حيث نشأ الوراق وترعرع ، لكنه بهر بالجو العلمي الذي كان يحيط بمدينة قرطبة أيام خلافة الحكم المستنصر (350-366 هـ/961-976 م) ، فرحل إلى الأندلس وبقي فيها حتى وفاته عام (363 هـ/973 م)[47] . ولكاتب هذه السطور بحث مفصل عن هذا المؤرخ ، وأهميّة نصوصه التاريخية الخاصة بالمغرب[48] ، لهذا لن يتكرر هنا ما جاء في ذلك البحث ، بل سنكتفي بالإشارة إلى بعض المسائل التي لها علاقة باعتماد البكري على الوراق ، الذي يعد حجة في تاريخ إفريقية والمغرب .

تكتسب نقولات البكري عن الوراق أهميّة خاصة ، نظرا إلى فقدان كتب الأخير ، التي ضاعت شأنها شأن الكثير من المؤلفات التي دونها معاصروه ، وبعض من سبقه من المؤرخين الذين اهتموا بتاريخ المغرب العربي . وقد اهتم البكري بشكل خاص

(47) أنظر عن الوراق : علي بن أحمد بن حزم (ت 456 هـ/1063 م) ، **رسالة في فضل الأندلس** ، نشرت ضمن مجموعة **رسائل ابن حزم الأندلسي** ، 3 ج ، تحقيق : إحسان عباس ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1981 : 175/2 ؛ محمد بن أبي نصر الحميدي (ت 488 هـ/1095 م) ، **جذوة المقتبس** ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة، 1966 ، ص 97؛ أحمد بن يحيى الضبي (ت 599 هـ/1202 م) ، **بغية الملتمس** ، نشر : فرانسسكو كوديرة ، مدريد ، 1884 ، ص 131 ؛ محمد بن عبد الله بن الأبّار (ت 657 هـ/1260 م) ، **التكملة لكتاب الصلة** ، 2 م ، نشر : عزت العطار ، مطبعة السعادة ، القاهرة ، 1955-1956 : 366/1 ؛ كراتشكوفسكي ، ص 186 ؛ بالنثيا ، **تاريخ الفكر الأندلسي** ، ص 309 ؛ مؤنس ، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين** ، ص 73-76 .

(48) أنظر : عبد الواحد ذنون طه ، «نصوص مغربيّة من تاريخ محمد بن يوسف الوراق» ، **مجلة البحث العلمي** ، العدد 38 ، الرباط (1988) .

برواية الوراق عن مدن شمال إفريقيا ، وأورد عنها معلومات تاريخية قيمة نسبها إليه . ومن أهم المدن التي اعتمد فيها البكري على الوراق ، مدينة تيهرت ، ووهران ، وتنس ، وسجلماسة ، ونكور ، والبصرة (في المغرب العربي) ، لكنه لم يذكر اسم الوراق صراحة إلا عند حديثه عن مدينة تيهرت[49] . وفي الوقت نفسه أشار إلى مدن أخرى، وذكر معلومات تاريخية عنها نسبها إلى محمد بن يوسف الوراق مباشرة ، منها مدينة رقادة ، وطبنة ، وأشير[50] .

ويلاحظ في النصوص التي نقلها البكري عن الوراق، أنها تتصف بدقة المعلومات والوضوح والتفصيل ، على العكس من نصوص ابن عذاري المنقولة أيضا عن الوراق . وينطبق هذا الكلام على روايته عن تأسيس مدينة نكور ، وأسرة صالح ابن منصور الحميري ، التي حكمت هذه المدينة ، ولعبت فيها دورا مهما منذ الفتح العربي الإسلامي للمنطقة[51] . كما تتضح أهميّة نقولات البكري أيضا بالنسبة إلى قبيلة برغواطة البربريّة وتاريخها في المغرب العربي ، حيث نجد في النّص معلومات طريفة عن «ديانة» هذه القبيلة ، وما ابتدعه لهم صالح بن طريف (ولد سنة 110 هـ/728 م)، الذي تنبأ فيهم ، من شعائر وطقوس خارجة عن الدين الإسلامي الحنيف . وقد احتفظ لنا البكري بهذا النص كاملا عن الوراق ، حيث دونه الأخير عن «أبي صالح زمور بن موسى بن هشام بن وارد يزن البرغواطي» الذي قدم رسولا من أمير برغواطة أبي منصور عيسى بن أبي الأنصار (تولى سنة 341هـ/952 م) إلى الحكم المستنصر في قرطبة سنة 352 هـ/963 م . وهذا النص أشبه ما يكون بوثيقة عن تاريخ برغواطة ، كتب للحكم المستنصر لتحفظ في سجلاته[52] . ويبدو أن الحس العلمي المرهف للبكري دفعه إلى الاهتمام بهذه الرواية ، التي تقدم معلومات مفصلة عن هذه القبيلة وعلاقاتها الداخلية والخارجية ، وسياسة أمرائها ، فحفظ لنا حلقة متكاملة من حلقات تاريخ المغرب العربي ، كما دونها محمد بن يوسف الوراق . ولم يكتف البكري بذلك ، بل أضاف إلى هذه الرواية نصا آخر عظيم القيمة عن برغواطة وديانتها ، نقله عن أبي

---

(49) البكري **المغرب** ، ص 68 .

(50) المصدر نفسه ، ص 28، 52، 60 .

(51) المصدر نفسه ، ص 91 فما بعدها ؛ وقارن : ابن عذاري ، **البيان** : 1/176-180 .

(52) البكري **المغرب** ، ص 134-141 ؛ وأنظر : **الاستبصار** ، ص 197-200 ؛ وقارن : مؤنس ، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين** ،ص 146 .

العباس فضل بن مفضل بن عمر المذحجي ، ولم يرد هذا النص في أصل رواية الوراق ، مما يشير إلى اهتمام البكري ، وملكته التاريخيّة المتميزة[53]

2 ــ كتاب مغازي إفريقية لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم المتطبب القيرواني المعروف بابن الجزار (ت 329هـ/980 م):

اهتم ابن الجزار إلى جانب ممارسته للطب بالمسائل التاريخية ، وألف فيها كتبا مختلفه ،[54] لم تصلنا جميعا باستثناء نتف صغيرة احتفظ لنا بها البكري ، وبعض الكتّاب المتأخرين . ومن مؤلّفاته في التاريخ : كتاب **التعريف بصحيح التاريخ** ، وهو تاريخ مختصر يشتمل على وفيات علماء زمانه ، وبعض أخبارهم ، وقد اطلع ياقوت الحموي على هذا الكتاب الذي يحوي على أكثر من عشر مجلدات[55] . ولابن الجزار أيضا كتاب **أخبار الدولة، أو تاريخ الدولة** ، ويعني به الدولة الفاطمية ، حيث يذكر فيه ظهور المهدي بالمغرب وانتشار دعوته في شمال إفريقية ، وسقوط دولة الأغالبة ، وما حصل من أحداث في تلك الحقبة[56] . كما ألف أيضا كتاب **طبقات القضاة** ، الذي خصصه لتراجم العلماء الذين تداولوا على قضاء إفريقية إلى عصره ، ولم يرد لهذا الكتاب ذكر عند ابن أبي أصيبعة ، لكن القاضي عياض أشار إليه ، ونقل منه[57] .

---

(53) البكري **المغرب** ، ص 137–138 .

(54) أبو داود سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل (ت 399 هـ/1008 م) ، **طبقات الأطباء والحكماء** ، تحقيق : فؤاد سيد ، مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية ، القاهرة ، 1955 ، ص 89 .

(55) شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626 هـ/1226 م) ، معجم الأدباء ، 20 م، ، دار المستشرق ، بيروت ، بدون تاريخ ، 2/136–137 .

(56) أنظر : أحمد بن القاسم بن خليفة المعروف بابن أبي أصيبعة (ت 668 هـ/1269 م) ، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء** ، شرح وتحقيق : نزار رضا ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، 1965 ، ص 481–482 ؛ حسن حسني عبد الوهاب ، **ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية** ، 3 ج، مكتبة المنار ، تونس ، 1965 : 1/318 .

(57) القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي (ت 544 هـ/1149 م) ، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك** ، 8 م ، تحقيق : عبد القادر الصحراوي وآخرون ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية ، الرباط ، 1968 : 3/102، 3/67 ؛ عبد الوهاب ، **ورقات** : 1/319 .

أما كتابه عن **مغازي إفريقية أو التعريف في أخبار إفريقية**، فلم يذكره أحد من الكتّاب والمؤرخين، باستثناء أبي عبيد البكري[58]، وابن حيان القرطبي[59]. ويرى الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب[60]، أن البكري نقل ما جاء في هذا الكتاب عن الرقيق القيرواني، فيقول: «ولا شك أن البكري نقل عن إبراهيم الرقيق الذي استفاد من هذه المغازي ما أورد من أخبار الفتح في تاريخه الكبير لإفريقية». وعلى الرغم من هذا الاحتمال، ليس من المستبعد أيضا أن يكون البكري قد اطلع على كتاب ابن الجزار بنفسه، دون أن يعتمد على الرقيق القيرواني، لا سيما وأننا لا نجد ذكرا لاسم الرقيق، أو كتابه بين ثنايا **«المسالك والممالك»** للبكري. يضاف إلى ذلك أن النصوص التي أوردها البكري، تتميز بتناسق الرواية ووحدة الموضوع، بينما نجدها مشوشة ومرتبكة عند الرقيق[61]؛ الأمر الذي لا يشجع على ترجيح أخذها من قبل البكري عنه مباشرة.

ولدى دراسة بعض النصوص التي نقلها البكري عن ابن الجزار، نجد أنها تتصف بالميل إلى الأساطير، من ذلك مثلا النص الآتي الذي يشير إلى أصل مدينة قرطاجنة:

«قال أبو جعفر أحمد بن إبراهيم المتطبب القيرواني في **مغازي إفريقية** إن موسى ابن نصير لما دخل الأندلس فأتى على ما أراد منها قال لهم دلوني على أسن شيخ فيكم، فأُتي بشيخ قد وقعت حاجباه عن عينيه من الكبر فقال له موسى من أين أنت يا شيخ؟ قال من قرطاجنة إفريقية فقال له موسى فما الذي أصارك إلى هنا وكيف كان خبر قرطاجنة؟ قال له الشيخ إن قرطاجنة بناها قوم من بقية العدديّين الذين هلك قومهم بالريح

---

(58) **المغرب**، ص 42.

(59) أبو مروان حيان بن خلف بن حيان (ت 469 هـ/1079 م)، **المقتبس في أخبار بلاد الأندلس**، تحقيق: عبد الرحمن علي الحجي، دار الثقافة، بيروت، 1965، ص 36. سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا: ابن حيان، **المقتبس**.

(60) **ورقات**: 319/1؛ وأنظر أيضا: سالم محمود عيسى الجبوري، **الرقيق القيرواني كتابه في التاريخ ومنهجه**، رسالة ماجستير على الآلة الكاتبة، الجامعة المستنصرية، معهد الدراسات القومية والاشتراكية، بغداد، 1988، ص 71.

(61) أنظر: ابو إسحاق إبراهيم بن القاسم المعروف بالرقيق القيرواني (ت بعد سنة 417 هـ/1026 م) **تاريخ إفريقية والمغرب**، تحقيق: المنجي الكعبي، نشر: رفيق السقطي، تونس، 1968، ص 81-83. سيشار لهذا المصدر فيما بعد هكذا: **تاريخ إفريقية والمغرب**.

فبقيت بعدهم خرابا ألف سنة حتى بناها أردمين بن لاودين بن نمرود الجبار وجلب إليها الماء العذب...»[62] .

وعلى الرغم من هذه المسحة الأسطورية ، لا يمكن القول جزما بأن ابن الجزار «كان يعتني بجمع الأساطير»[63] لأنه قدّم رواياته استنادا إلى الأخبار التي كانت رائجة في عهده عن أصول بعض المدن القديمة ، لا سيما قرطاجنة . ولو تتبعنا رواية ابن الجزار لوجدنا أنّه يستمر في سرد تاريخ هذه المدينة ، ويبين الصراع الذي جرى بينها وبين مدينة رومة ، وهجوم (هانيبال ، حنبعل Hannibal) الذي يسميه «أنبيل» عليها ، ودور القائد (شيبيون أو سيبيون Scipion) ويسميه «شبيون» ، في هذا الصراع . يقول ابن الجزار كما ينقل عنه البكري :

«... وكان سبب خراب قرطاجنة أن أنبيل ملك إفريقية وكانت قرطاجنة دار ملكه، مضى إلى بلد إيطالية الذي فيه مدينة رومية ولاقى قواد رومية ... فهزمهم أنبيل وقتلهم في عدة مواطن .... فأقام في بلاد إيطالية محاربا لمدينة رومية ومضيقا على نواحيها نحو من ست عشرة سنة فركب قائد من قوادهم يقال له شبيون المراكب خفية حتى أتى صقلية فحشر من اجتمع له بها ثم مضى إلى بلد إفريقية وترك أنبيل محاصرا لبلد رومية فنصر على الإفريقيين وعم بلد إفريقية قتلا وسبيا وإحراقا وبقي محاصرا لقرطاجنة فبعث أهلها إلى أميرهم أنبيل يعلمونه بما دهمهم من أهل رومية...»[64] .

وهذه الرواية قريبة جدا ، بل مطابقة لما يذكره المؤرخون المحدثون عن هذا الصراع[65] ، ويبدو أن ابن الجزار قد اعتمد على أصول قديمة ، ربّما كانت لاتينية ، للتعرف على هذا الصراع ، وتدوينه على هذه الشاكلة ، واستفاد منه البكري بالتأكيد ، وضمنه في حديثه عن مدينة قرطاجنة وأوليتها . ومن جهة أخرى هناك دليل آخر ينفي أنّ كتاب «مغازي إفريقية» أو «التعريف في أخبار إفريقية» تضمن فقط روايات

(62) البكري ، **المغرب** ص 42 ، وأنظر كذلك ص 33 ؛ وقارن : **الاستبصار** ، ص 124-125 الذي نقل النص عن البكري مع بعض الاختلاف .

(63) قارن : عبد الحميد ، تاريخ المغرب العربي : 25/1 .

(64) البكري **المغرب** ، ص 42-43 .

(65) أنظر : جوليان ، المرجع السابق : 100/1-106 ؛ وأنظر : محمد البشير شنيتي ، **الاحتلال الروماني لبلاد المغرب** ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1985، ص 25-26 ، محمد الهادي الشريف ، **تاريخ تونس** ، تعريب : محمد الشاوش ومحمد عجينة ، لسراس للنشر ، تونس ، 1985 ، ص 21-22 .

أسطورية ، حيث ينقل عنه ابن حيان القرطبي نصوصا تاريخية عظيمة القيمة عن خروج جعفر بن علي بن حمدون الأندلسي عن طاعة المعز لدين الله الفاطمي (341-365 هـ/953-975 م) ، ومحاربته لزيري بن مناد الصنهاجي (ت. 360 هـ/970 م) ، ومن ثم عبوره إلى الأندلس واتصاله بالخليفة الحكم المستنصر(66) .

كما ينقل ياقوت أيضا أخبارا تاريخية صرفة عن ابن الجزار ، من ذلك مثلا ، ما دونه في النص الآتي : «قال أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد بن الجزار في تاريخه : في سنة 208 ثار منصور بن نصر الطنبذي (ت 211 هـ/826 م) على زيادة الله بن إبراهيم بن الأغلب (201-223 هـ/817-838 م) في إقليم المحمدية في موقع يقال له طنبذة، وبه لقب الطنبذي ...»(68) . ويدل هذا النص والنصوص التاريخية الأخرى التي اقتبسها البكري وابن حيان ، على اهتمام ابن الجزار بالأحداث التاريخية التي مرت بالمغرب العربي منذ الفتح إلى الحقبة التي عاش فيها . وتكتسب الأخبار المعاصرة لحياته أهمية خاصة نظرا إلى معايشته للأحداث ، واعتماده على شهود عيان في ذكرها ، مما هيأ له مادة تاريخية عظيمة القيمة ، استفاد منها البكري ، وغيره من المؤرخين والكتاب المتأخرين .

3 ــ كتاب تاريخ إفريقية وحروبها لعبد الله بن يزيد بن عبد الرحمان المعروف بابن أبي حسان اليحصبي : .

ينتمي ابن أبي حسان المتوفى سنة 227 هـ/841 م إلى بيت من أشراف إفريقية ، وكان يسكن في حارة يحصب بالقيروان ، لهذا سمي باليحصبي . عرف بفقهه وأدبه وعلمه بالتاريخ وأنساب العرب وأيامها ، وله رحلة إلى المشرق لقي فيها الإمام مالك

(66) ابن حيان ، المقتبس ، ص 36-38 .

(67) شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي (ت 626 هـ/1226 م) ، **معجم البلدان** ، 5م ، دار صادر ، بيروت ، 1977 : 43/4 .

(68) أنظر عنه : محمد بن أحمد التميمي المعروف بأبي العرب (ت 333 هـ/944 م) ، **طبقات علماء إفريقية وتونس** ، تحقيق : علي الشابي ونعيم حسن اليافي ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، 1968 ، ص 155-156 . سيشار لهذا المصدر عند وروده فيما بعد هكذا : أبو العرب؛ أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي (ت 474 هـ/1081 م) ، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية ، 3 ج ، تحقيق : بشير البكوش ، ومحمد العروسي المطوي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983 ، 284/1-289 ؛ عياض ، **ترتيب المدارك** : 310/3 عز الدين علي بن أبي الكرم المعروف بابن الأثير (ت 630 هـ/1233 م) ،

ابن أنس (ت 179 هـ/795 م) ، وكتب **تاريخ إفريقية وحروبها**.[69] وينسب البكري نصا واحدا إلى ابن أبي حسان ، وهو يتعلق بفتح موسى بن نصير (ت 98 هـ/716 م) لمنطقة سقوما ، وكتابته إلى الوليد بن عبد الملك (86-96 هـ/705-715 م) بذلك[70] . وهذا النص موجود تقريبا كما هو عند الرقيق القيرواني[71] . والواقع أن الرقيق ينقل كثيرا عن ابن أبي حسان اليحصبي ، حيث تتصف بعض روايات الأخير بالأصالة ، لأنه عاصر أحداثها ، أو أن أباه حدثه عنها نقلا عن شهود عيان[72] . فهل أخذ البكري ما أخذه عن ابن أبي حسان اليحصبي مباشرة ، أم نقلا عن الرقيق القيرواني ؟ الواقع لا يمكن الإجابة القاطعة عن هذا السؤال ، فقد يكون البكري أخذ ذلك عن الرقيق ، أو أنه اطلع فعلا على كتاب **تاريخ إفريقية وحروبها** لليحصبي ، لا سيما وأنه لا يشير إلى اسم الرقيق ، في حين سمّى معظم من أخذ عنهم رواياته التاريخية ، أو الجغرافية .

4 ــ كتاب فتوح إفريقية لعيسى بن محمد بن سليمان بن أبي المهاجر :

يشير البكري إلى أخذه عن مؤرخ يسميه بأبي المهاجر ، وبطبيعة الحال لا يمكن أن يكون أبو المهاجر هذا هو «أبو المهاجر دينار» والي إفريقية الذي تولى سنة 55-62 هـ/674-681 م ، لأن البكري ينسب إليه رواية أحداث وقعت بعد وفاته . فمن المتفق عليه أنّ أبا المهاجر دينارًا استشهد مع عقبة بن نافع الفهري في معركة تهودة ، في أثناء رجوعهما من حملة على المغرب الأقصى سنة 63 هـ/682-683 م ، أو أواخر سنة 64 هـ/684 م . لهذا فإن البكري يقصد بالتأكيد عيسى بن محمد بن سليمان ابن أبي المهاجر ، حفيد أبي المهاجر دينار ، الذي عرف عنه أنه ألف كتابا **في فتوح إفريقية** ،وهو يعد من المصادر الأساسية في تاريخ المغرب العربي . وعيسى هذا هو أحد تلاميذ أبي خارجة الغافقي (ت 210 هـ/825 م) ، وعبد الله بن وهب (ت 197

= **الكامل في التاريخ** ، 13 م ، دار صادر ، بيروت ، 1979 : 530/6 ؛ ابن عذاري ، **البيان** : 108/1 .

(69) البكري **المغرب** ، ص 117-118 .

(70) **تاريخ إفريقية والمغرب** ، ص 77 .

(71) المصدر نفسه ، ص 107، 121، 141 .

(72) أنظر : أبو العرب ، ص 206 .

هـ/812 م)[73]. ويعد الأول من علماء إفريقية الأجلاء في الحديث ، أما الثاني ، فهو من المحدثين المصريين ، وهو مؤسس أول مدرسة تاريخية مصرية[74].

ولا يقتصر اعتماد عيسى بن أبي المهاجر على رواة من إفريقية ومصر فحسب، بل يعتمد رواة آخرين من أمثال محمد بن عمر الواقدي (ت 207 هـ/823 م) ، وابن مهدي بن يزيد القيسي ، وزريق بن هلال الخشني ، وعمر بن سمك بن حميد مولى موسى بن نصير ، وشهر بن حوشب ، وغيرهم من أشياخ عرب إفريقية[75]. ويبدو ن عيسى بن أبي المهاجر قد اطلع أيضا على أصول مدونة ، مثل كتاب أبي بكر عتيق السوسي ، وهو من أهل القيروان ، حيث أخذ منه رواية عن خروج عبد الله بن سعد ابن أبي سرح إلى إفريقية[76]. ومن المؤسف أنه لا يشير إلى اسم الكتاب ، ولا يذكر طبيعة محتوياته ، ولكنه،كما يبدو من الخبر الذي أخذه عنه ، كان يهتم بفتوح العرب لإفريقية .

اعتمد البكري مباشرة على ما دونه عيسى بن أبي المهاجر في كتابه **فتوح إفريقية** ، الذي كان يضم دون شك روايات عن الفتح العربي الإسلامي للمغرب ، إضافة إلى معلومات أخرى عن فتح الأندلس ، نقلها عنه المؤرخ ابن عذاري المراكشي[77]. وقد ركز البكري على نصين ، الأول يتعلق بعقبة بن نافع الفهري ، ومعركته الأخيرة في تهودة ، حيث استشهد ، هو وجماعة من صحبه على يد تكتل كبير من السكان المحليين وأنصارهم من البيزنطيين[78]. أما النص الثاني فيتعلق بأعمال حسان بن النعمان الغساني العسكرية والإدارية ، التي نفذها أثناء ولايته على إفريقية (74-85 هـ/694-704 م) . وهو نص عظيم القيمة ، لأنه يعد من أقدم النصوص التي وصلتنا ، وفضلا عن قدمه ، فإن قيمته وأهميته تتركز أيضا في تقديمه معلومات مفصلة عن تحرير منطقتي قرطاج وتونس ، وموقف الخلافة الإيجابي من دعم حسان بن النعمان ، في

---

(73) عبد الحميد ، **تاريخ المغرب العربي** ، 23/1 .

(74) أبو العرب ، ص 65، 68، 71، 179، البكري **المغرب** ، ص 73 .

(75) المصدر نفسه ، ص 78 ؛ وأنظر : عبد الواحد ذنون طه ، «موارد تاريخ ابن عذاري المراكشي عن الأندلس من الفتح إلى نهاية عصر الطوائف» ، **مجلة المجمع العلمي العراقي** ، ج 4 ، م 37 ، بغداد ، (1986) ، ص 368-369 .

(76) ابن عذاري ، **البيان** : 6/2-7 .

(77) البكري **المغرب** ، ص 73-74 .

(78) المصدر نفسه ، ص 37-39 .

سبيل حماية المكتسبات العربية في المنطقة ، وذلك بإرسال ألف أسرة قبطية للعمل في دار صناعة السفن الحديثة التي أنشئت في تونس . كذلك يقدم النص تفصيلات قيمة عن بناء السفن ، وإنشاء هذه الدار في تونس ، وهي التي أصبحت قاعدة عربيّة إسلاميّة للأسطول العربي الناشىء في شمال إفريقيا.

وقد أشار مؤرخ آخر إلى هذه المعلومات ، وهو الرقيق القيرواني ، لكن روايته مختصرة وفيها خلط بين اسم الخليفة عبد الملك بن مروان (65–86 هـ/685–705 م) ، والوليد بن عبد الملك[79]، وتشير الرواية أيضا إلى أن عم الوليد بن عبد الملك ، أي عبد العزيز بن مروان ، هو الذي أرسل الأسر القبطية في خلافة الوليد ، وهذا مخالف للواقع ، لأن عبد العزيز بن مرواون توفي في حياة أخيه عبد الملك سنة 86 هـ/705 م . ويشير اختيار البكري للنص الصحيح في هذا المجال إلى طريقته في الاستفادة من الموارد التي يعتمدها ، وتحريه لصدقها ، ودقتها ، لتوظيفها في دعم المادة الجغرافية التي يقدمها في كتابه **المسالك والممالك** .

---

(79) **تاريخ إفريقية والمغرب** ، ص 65–66 .

بين الشعراء والنّحاة

قال أحد الشّعراء يخاطب نحويًا: [مجزوء الرّجز]

قُلْ مَا الّذي يَهمّني ... إنْ قَامَ زَيدٌ أوْ قعد
أو إن ذَهبت مَاشيا ... أو رَاكِبا نحو البَلد
أو كان زيدٌ مُبتدا ... أو فاعِلا سدّ المَسَدّ
في النّحوِ لا تقهرْني ... إلّا تفاصيلُ العدد
وأفعلُ التفضيل كم ... قد شذّ فيه وشرد
وغيرُ هذا عُقَد ... تبّا لهاتيك العُقَد
ترى بها قواعدًا ... بدون معنى أو زبد
مَختومةٌ جميعها ... بـ «قِسْ عَلَيْه ما ورد»

المغرب من خلال كتاب الجغرافيا لمحمّد الزّهري

بقلم الأستاذة : دولورس برامون
(جامعة برشلونة)
تعريب الدكتور : فرحات الدشراوي
(جامعة تونس)

عندما عزمت على إعداد هذا البحث كنت أشكّ حقّا في جدواه وفائدته . فكيف سأتكلّم من قرية صغيرة شمال قطلونيا — من المحتمل أنّها لم تعرّب قط — عن المغرب بالمغرب ذاته ؟ لقد دعتني عدّة حوافز إلى القيام بما عزمت عليه من البحث على أكمل وجه . قد أذكر منها مثلا أنّي أصلا مؤرّخة . فالتاريخ كما قال ابن خلدون : « إنّما هو ذكر الأخبار الخاصّة بعصر أو جيل . فأمّا ذكر الأحوال العامّة للآفاق والأجيال والأعصار فهو أسّ للمؤرّخ تنبني عليه أكثر مقاصده وتتبيّن به أخباره » (المقدّمة ط 1967/3 ص 52) .

ومن ناحية أخرى بالنّسبة إلى المغرب وإلى الدور العظيم الذي قام به الأعراب الرحّل عند عبورهم الصحراء في العلاقات الاقتصادية والثّقافية أثناء القرون الوسطى الأولى،فهذا الدّور — كما قال في شأنه (موريس لومبار) — دور خطير جدّا ... لكنّه من سوء الحظّ لا يعرف إلا قليلا في تفاصيله التاريخيّة وتطوّراته الجغرافيّة لفقدان المصادر المعاصرة للأحداث (راجع « الإسلام في عظمته الأولى » ، القرون 8/2 — 11/5، طبع فلاماريون باريس 1971 ص 242) .

إذا فقدت المصادر المعاصرة للأحداث فما العمل إذن ؟

عندنا ابن حوقل الذي يقول عنه فعلا (قَابْرِيئَالِيّ) : « لكنّ مساهمة ابن حوقل الشخصية حقًا تتمثّل في كونه وصف المغرب الإسلامي: إفريقيا الشمالية والأندلس،أثناء زيارته إيّاه خلال سنوات هي أبهى أيام الخلافة بقرطبة » . (راجع : رحلات ورحّالة عرب ، صانصوني فلورانس سنة 1975 ص : 60) .

وعندنا كذلك البكري والإدريسي وأخيرا قدّم لنا محمد حاج صادق تحقيق « كتاب الجغرافيا » للزّهري (راجع نشرية الدراسات الشرقية ، دمشق 1968 ـــ ص :4–309).

وأما العصور المتأخرة . فإننا لا ننسى ابن بطوطة وابن خلدون . ولا ننسى كذلك الدراسات المختصة التي قام بها المستشرقون مثل « أندري ميكال » ، (راجع كتاب الجغرافيا البشرية بالعالم الإسلامي إلى منتصف القرن 11/5 باريس ـــ لاهاي 1967)، الذي تجاوز قيمة المؤلف الكلاسيكي. كَارَّادي فُو (راجع كتابه « مفكّرو الإسلام »، ج 2 : الجغرافيون والرحالة . باريس 1922) .

ولكن لنذكر أنه ، رغم ما قام به ابن خلدون من تدعيم لهيكل التآليف التّاريخية والجغرافية التي ألّفها أسلافه بما اعترف له من الإمامة الفائقة ، من الأفضل اعتبار رواية المؤرخين الأندلسيين الذين تقدّموا القرن 8 هـ/ 14 م قبل أن تتخذ الأسطورة شكلها المعلوم. وهو المنهج الذي يتميّز بمزيد من التحرّي حسب رأي عبد الله العروي (راجع كتابه : « تاريخ المغرب » طبع ماصبيرو ، باريس ، ج : 1 ص : 99) .

وإنه لا مجال للطعن في العلاقات القائمة بين التاريخ والجغرافيا وهو ما يؤكّده (إيف لاكوست) عندما يشرح من مقدمة ابن خلدون هذا القول: «إنّ الإنسان ابن عوائده ومألوفه لا ابن طبيعته ومزاجه » (المقدمة ص : 219) .

يقول إيف لاكوست : « لا شك أن مثل هذا الرأي يتردّد في تآليف عدد من المفكرين المسلمين إلّا أن ابن خلدون يبرز في هذا المجموع المعقّد الذي تُكوّنه تقاليد الشعوب وعاداتها عواملَ فعّالةً ونتائج كذلك » ، (ابن خلدون . ميلاد التّاريخ ماضي العالم الثّالث . ماصبيرو . باريس 1969 ، ص 204) وهو ما يبدو في قوله : « إنّ اختلاف الأجيال في أحوالهم إنما هو باختلاف نحلتهم من المعاش » (المقدمة ، ص 120) .

واعتبارًا لكلّ ما قلت هنا ولأنّي أعتقد أن البحوث العظيمة لا يمكن القيام بها إلّا بما يجتمع من مساهمات صغيرة مثل المساهمة التي أقدّمها اليوم ، فإنّي أرجو عندما يتمّ نشر أعمال هذه الندوة أن يستفيد منها بعض الباحثين المجتهدين ويكون له عليّ فضل المطالعة لبحثي .

وإنّي سأشرح أساسا الفقرات التي تتراوح أرقامها من 274 إلى 317 . وهي الفقرات التي تذكر مباشرة المغرب والمقتبسة من كتاب الجغرافيا لمحمد بن أبي بكر الزهري الذي ظلّ معروفا إلى هذا الحين بكاتب المريّة المجهول الاسم .

إن بلاد المغرب كما يقول الزّهري في الجزء السادس من كتابه تمتدّ من جبال برقة [1] إلى جبال أوثان ، أي من برقة وطرابلس حتى بلاد المغرب الأقصى . والزهري يقسم الجزء السادس مثل سائر أجزاء كتابه السّبعة إلى ثلاثة أصقاع، والأصقاع الثلاثة من الجزء السادس هي الآتية :

الصقع الأول : إفريقية

تسكن هذا الصقع أقوام من البربر هي صنهاجة ، برغواطة ، وزناتة . وهو يشمل البلاد التي تمتدّ من جبال برقة وجبال نفوسة إلى سلسلة جبال وانشريس أو وَرْسنيس. ومن البحر الأبيض المتوسط إلى سلسلة جبال وَارْكْلان أي ورْقلة ببلاد الجزائر في عصرنا هذا .

وأهمّ المدن ـــ حسب الزّهري ـــ هي على الساحل : لَبْدَة (لابتيس ماقنا، الرومانية) وهي في حالة خراب . أَطْرَابُلس، و (مدينة الزّيت) بعبارة ابن حوقل أي أسْفَاقس ، و(مدينة المهدي) أو العاصمة التي أنشأها عبد الله المهدي الخليفة الفاطمي بدلا عن القيروان : وهي المهديّة ، وسوسة ، وتونس التي يشرف عليها جبل يكوّن رأسا متقدّما في البحر جِهَةَ صقليّة على بعد 40 ميلا منها .

(1) لمزيد من التفاصيل الإضافيّة عن أسماء البلدان يمكن الرجوع إلى معجم البلدان لياقوت ط : لايبزيغ 1866ـــ1873 ، 6 أجزاء ـــ ميلاركونراد : الخريطة العربية ستوتقارد 1927 وكذلك دائرة المعارف الإسلامية : الفصول الخاصة بأسماء البلدان المذكورة (ليدن ـــ باريس 1908ـــ1938 ، الطبعة الثانية منذ سنة 1960) .

وعند ذكره تونس يصف الزّهري مسجدها جامع الزيتونة بسواريه الخمسمائة من الرخام الأبيض ، وصحنه الواسع الأبيض المبلّط بالرّخام الأبيض أيضا ، وسقّايته العظيمة ذات الأقواس السّبعة إلخ ... [2] .

وتقع على الساحل كذلك بنزرت بِبُحَيْرَاتِها العجيبة حيث يعيش إثنا عشر نوعا من السّمك ، من حوت الماء المالح ، أو الماء الزّلال الصالح للشّراب ، بحسب أشهر السنة الإثني عشر .

وعلى مسافة غير بعيدة من بنزرت تقع بجاية التي بينها وبين دانية (بالأندلس) مسافة 100 فرسخ ، ثم عنّابة . ثم يذكر الزّهري جزائر بني مزغَنّة (وهي الجزائر العاصمة) وقفصة [3] ،وينتقل إلى ذكر المدن الواقعة داخل المنطقة وهي قابس [4] ونفطة ، وتُوزر الخضراء (تُوزِر) وبَنْطَرة .

وفي النّاحية الغربيّة من البلاد يذكر الزّهري مدن مَلْيانة (وهي اليوم بالجزائر مِلّيانة) وزَرْاوة ، وقسنطينة ، وقلعة بني حمّاد [5] وبَرْشَكْ الواقعة على مسافة 150 يوم (والأصحّ : ميل) من جزيرة يابسة [6] .

ويذكر الزّهري كذلك قرطاجنّة (قرطاجنّ) التي أسسها أذَرْشْ أو أوْدَاس الرّومي صاحب إفريقيّة . ويذكر قصورها ونُصُبَها الرّائعة وكيف وقع هدمها في عهد عبد الملك ابن مروان عندما غزا المسلمون صقليّة . ومدينة أخرى كانت قد خربت في ذلك العهد

---

(2) اعتبارا لما لهذا البحث من الصّبغة الجغرافية فإنّي لن أهتمّ بالمادة الفنّية من الكتاب ولا بالمادّة التاريخيّة ولا بالعجائب التي غالبا ما يكثر المؤلّف من ذكرها ذكرا مفصّلا .

(3) ليست مدينة ساحلية .

(4) وبالعكس فإنّ قابس هي مدينة واقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط يقول عنها الإدريسي (راجع ترجمة جوبار ، باريس 1836—1840 ـ ط 2 بأمستردام 1975 . ج 1/ص 256) : « ومرساها (قابس) ليس بشيء لأنّه لا يستر من ريح ، وإنّما ترسي القوارب بواديها وهو نهر صغير يدخله المدّ والجزر وترسي به المراكب الصّغار »..

(5) هي اليوم خراب ـ أسسها حمّاد بن بلقين سنة 1007/386م راجع الإدريسي ج 1 ، ص 232 .

(6) راجع الفقرتين 344 ، و345 من كتاب الزّهري حول هذه المدينة التي اندثرت اليوم بناحية وهران . وقد رسمها مترجم الإدريسي هكذا (بَرْشَك) .

هي المُعَلَّقة [7] ذات الصخور التي يبلغ قيسها عموديا 30 شبْرا وعَرْضًا 20 (أي قامتها) وتزن 50 قِنْطارا .

ويخصّ المؤلّف القيروان بفقرة طويلة يذكر فيها ما أصابها من الاجتياح مرّة بعد أخرى،غير أنّي لا أقف على ذلك هنا للأسباب التي عبّرت عنها في التّعليق رقم 3 . فقد جعل الزّهري من القيروان مع بغداد والقاهرة وقرطبة إحدى قواعد الإسلام الأربع، ويقول إنّها أول مدينة أسّسها العرب بالمغرب على مسافة 15 يوما (والأصحّ:ميلا) من البحر . وقد بلغ علماؤها وفقهاؤها وشعراؤها وأدباؤها ما كان من الشهرة لأمثالهم بالبصرة .

معاشُ (اقتصاد) إفريقية

نَخيلُ إفريقية مثمر وغزير جدّا حتّى بلغ تمره عشرة أنواع . كلّ نوع منها يختلف طعمه عن طعم غيره من الأنواع . والتّمر هو أصلا طعام إفريقيّة باعتبار أنه يوجد بالجنوب فقط زراعة صغيرة من الحبوب من أجل وجود الأعراب : الأعراب الهلاليّين. وتونس والقيروان هما أكثر المدن صناعات ، فبتونس تصنع ثياب من الكتّان وأوان مختلفة من نوع رفيع جدّا . ويدلّ على ثروة القيروان وازدهارها وجود 5000 وَضَمٍ لبيع اللّحوم بها . وممّا يدلّ على كلفها بالتّجارة إذ هي تصدر ثيابا أنيقة مصنوعة بسوسة (السّوسيّات) ، أنّ شعراءها البالغ عددهم أربعمائة يهدون أشعارهم لا لأولي الأمر بل للتجّار .

وأخيرا فإنّ قطع النّسيج المنسوجة بالمهدية كانت تصدّر إلى جميع البلدان . وهذه المنطقة تصدّر أيضا الزئبق والزّعفران والثّياب الحريريّة إلى الحبشة . وتصدّر إلى الأندلس والمغرب الزّرنيخ المستخرج من بحيرة بنزرت . وجُلُود الفَنَك لأنها أجود من جلود الفنك اليَمَنيّة . ورغم أنّ إفريقيّة كانت تستورد الزّيت من شرف (الذي يسمّى إلى يومنا هذا الجرف) قرب إشبيلية ، فإنّ موانيها ، صفاقس ، المهدية ، وسوسة هي مراكز عظيمة لتصدير الزّيت ومواد أخرى تتزوّد منها ــ كما يقول الزّهري ــ جزيرة إقريطش.

---

(7) يقول الزهري : إنّها تقع على مسافة 30 فرسخا من القيروان لكن حسب البكري (راجع ترجمة دوسلان الجزائر 1913 ، ص 93) ، وكذلك الإدريسي : هي تقع شمال الحوض البحري لتونس أي بجانب قرطاج ، وموقعها هذا أصحّ وأكثر دقة . ومنها ناحية يحيط بها جدار من طوب .

وأما الواردات فالزّهري يذكر منها السكر من بلاد السوس والملح والخشب الصالح لسقف البيوت [8] من يابسة ، والجوز واللّوز ، والكسْتَناء والفستق والجلّوز من صقليّة.

الصُقْع الثاني : المغرب الأقصى [9]

يذكر فيه الزهري القبائل البربرية ، غُمارة صنهاجة ، سُمَاتة ، لَوَاته ، بَنُو كُلثوم، لَمْطَة مَسْرَاتة إلخ ... ويشتمل هذا الصقع على الأرض التي يحدّها شرقا جبل وَنْشريس المذكور آنفا ، وشمالا مضيق جبل طَارق ، والرأس البحري أشبَرْتَال غَربا . وكذلك من هذه الجهة صقع السّوس ، وهو يمتدّ على مسافة 90 يوما من الشرق إلى الغرب ومن المضيق إلى السوس على مسافة 14 يوما .

ويذكر فيه الزهري أربعة أودية وهي : وادي سَبُو الذي ينزل من جبل إفْرَان والذي يمرّ بفاس [10] ويصبّ في المحيط الأطلسي وطوله 100 فرسخ . ونهر أسْمِير الذي يصبّ عند مدينة سلا ، ووادي أمّ ربيع الذي ينبع من القلعة ويمرّ قريبا من أزمّور وطوله 110 فرسخ ، ووادي مَلْوِيّة (وهو وادي مَلْفَة عند الرومان ووادي مُولُوشات عند بطليموس) الذي يذهب ليصب في البحر الأبيض المتوسط وطوله 120 فرسخ .

---

(8) كان العالَم الإسلامي في غالب الأمر يفتقر إلى الخشب لقلته بربوعه . وكانت دور الصّناعة به لا سيما ببرقة وطرابلس وإفريقية تضطرّ إلى توريده من البلدان غير الإسلامية . على أن ابن سعيد يذكر استغلال الخشب من شجر الأرز بمنطقة الرّيف . (راجع عن ذلك : فِرْنات : المغرب الأقصى من خلال جغرافية ابن سعيد المغربي ، برشلونة ـــ بلاّتيرة سنة 1979 ، ص :497) ، و(راجع أيضا لونبار موريس : كتابه المذكور ، ص 194 الذي يوضّح أنّه في سنة 971/359 عمدت القسطنطينيّة إلى إحراق ثلاث سفن من البندقية تحمل الخشب، اثنتان منها كانت تتّجه إلى المهديّة والثالثة إلى طرابلس . (راجع أيضا لونبار موريس : دور الصّناعة والخشب المستعمل للأساطيل الإسلامية بالبحر الأبيض المتوسط من القرن 7/1 إلى القرن 11/5 في كتابه : « السفينة والاقتصاد البحري من القرون الوسطى إلى القرن 18/12» ، الندوة العالمية الثانية حول التّاريخ البحري ، باريس 1958 مع خريطة ، و (راجع كذلك لونبار موريس : مشكل على خريطة ، الخشب بالبحر الأبيض المتوسط الإسلامي (من القرن 7/1 القرن 11/5 مجلة «حوليّات» 1959/14 ص : 234ـــ254 مع أربع خرائط) .

(9) قد استعمل هذه القطعة من الكتاب بَاسِيّ فنشرها في كتابه : وثائق جغرافية عن إفريقيا الشّمالية، باريس 1898 ص 14ـــ30 عن مخطوطات باريس وتونس والجزائر والقيروان .

(10) هذه الإشارة غير صحيحة لأنّ فاس يمرّ بها وادي فاس الذي هو من روافد نهر سَبُو .

ويذكر كذلك الزّهري جبال غَصَاصَة [11] شرقيّ مَلِيلَة والجبالَ الآتية : جبل إفْران، جبل دَرَنْ أو الأطلس الكبير وجبل زَرْهُون قرب سَفْرُو ، وجبل عِنّاب شمال فاس وجبل غِيَاثة بجنوب تازة وحيث ينبع وَادِي سَبُو [12] .

وأهمّ مدن هذا الصّقع هي : تَنَسْ ، وَهْرَان ، دائرة حُنَيْن (وهي رأس نوح اليوم المسماة بالفرنسيّة نُومُور) وهي خراب [13] ، مَلِيلِيّة (المعروفة اليوم بمَلِيلَة) ، جَصّاص (المسماة اليوم غَصَاصة) : وهي مرسى يقع غربي مَلِيلة ، ناكور [14] ، بِزِمَّة [15] ، باديس [16] ، مرسى عُمَارة ثُرْفة ، سبتة ، قصر مصمودة ، طانجة : وهي قديمة أزلية. ويقول الزهري نقلا عن بعض مصادره وهو كتاب عجائب البلدان لابن الجزّار : تطلق تسمية مدن أزلية على طانجة والسوس .

وفي الناحية الغربية يذكر الزّهري تاهرت التي أسّسها العمالقة المصريّون بآثارها العجيبة وبقاياها البشرية الغريبة الحجم [17] ، وتازة . والزّهري يخصّ ذكر المدينة القديمة بُومَارية وهي تلمسان بفقرة كاملة لأهمّيتها السياسيّة والاقتصادية . وهي ثريّة بالحبوب والماشية لأن فصل الشتاء بها بارد وكثير الثلوج ولأن عيون الماء بها غزيرة.

---

(11) توجد في مخطوط الرّباط (الفقرة 76 رقم 2) فقرة دخيلة زائدة لا شك أنها أدخلت في النصّ الأصلي في عهد متأخر ، والدّليل على ذلك أن الناسخ عندما يذكر الأثر المغناطيسي الذي يحدث بالبحر الأحمر يقول : إن هذا الأمر يوجد أيضا بجبال غَصَاصة وأنه شاهده بنفسه .

(12) في الفقرة 377 يذكر الزهري بعد ذلك أنّ وادي سَبُو ، يَنْبُعُ من جبل إفْران . هذا القسم نشره باسّي في (وثائق جغرافية عن إفريقيا الشّمالية ، باريس 1898 ص 14ـ30) اعتمادا على مخطوطة باريس وتونس والجزائر والقيروان) .

(13) انظر البكري ترجمة دي سلان ، ص 161 .

(14) انظر : البكري ترجمة دي سلان ، ص 180 . كانت ناكور قاعدة لمملكة اعترفت بسُلطة الخليفة الأموي الأندلسي ، كان أسّسها صالح بن منصور ــ وهو مهاجر عربيّ قاتل الخوارج ــ ودامت من سنة 809/193 إلى سنة 917/301 .

(15) لعلّها الحُسَيْمة الموجودة اليوم . (راجع فرنات : ابن سعيد ، ص 498 وقُودْفَرْوَادِي مُومبين : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار (مقتبسات من ابن فضل الله العمري ، باريس 1927، ص 164 رقم 7) .

(16) لا يلتبسنّ على القارىء باديس المغربية التي هي اليوم خراب بباديس الواقعة بالجزائر .

(17) مثلا عظم الساق (الظّنبوب) وطوله ستة أشبار ، أو ضروس تزن الواحدة منها ثلاثة أرطال. وأنا أعتقد أنّ هذه البقايا إنّما هي بقايا حيوانات من عهد ما قبل التاريخ .

وهي مشهورة بمنتوجات صناعاتها : صناعة الصّوف لا سيما الأغطية الصوفيّة المسماة (الحَنْبَل) والثّياب الصوفية ، وكذلك المصنوعات الحريرية المسمّاة (مُحَرّات) ، وقطع القماش الملون المستعملة لشدّ الحزام المسمّاة (إحْرَام) ، وأكسية على غاية من الرِّقة مصنوعة من الحرير الموشّى بالخطوط والمسمّاة (سَفْسَار) (وهي تنتمي إلى يومنا هذا سَفْسَارِي) ، وأوْشِيِة لزخرفة السّروج الفاخرة المستعملة لركوب الجياد . وعلى مقربة من تلمسان توجد مدينة وُوِيَة (المعروفة اليوم بوُجْدة) ورباطُ تازة .

وعلى مسافة ثمانية أيام من تلمسان تقع مدينة فاس ، وهي على الطريق الواصل إلى تلمسان غربا وإلى سجلماسة جنوبا في ناحية يكثر بها الماء الصالح للشّراب . وهي واقعة جنوب تُوُودَا ، وقصر عبد الكريم ، وشمالَ صَفْرُو ، وشرقيّ مِكْنَاسَةَ وَسَلاَ . وأمّا مِكناسة التي يطلق عليها بعض الجغرافيّين العرب (إسم مِكناسة الزّيانين ، فيوجد بها بكثرة غلالُ الكروم (عِنب) والحبّة الحلوة ، والكَنْرُونة [18] ، والشّنون . ويصطاد القنفد بنَواحيها حيث يوجد بكثرة . ثم يذكر الزّهري سَلاَ مشيرا إلى أنّ نهر أسْمير يصبّ بها غير أنّه يزيد تدقيقا فيقول : إنّه يصبّ في واقع الأمر عند قصر بني ثاوِرَة الذي ابتناه الأمير محمد بن عليّ .

أما المواني الواقعة على المحيط الأطلسي والتي تُرسي بها السفن القادمة من الأندلس ومن جمهورية بيزة الإيطالية) فهي كما ذكرها الزّهري : فضّالة (الواقعة اليوم على مسافة 25 كلم من الدار البيضاء) ، وأزيلا (أصيلا أو أَزِيلا) التي يسميها بطليموس : زِيليا على مقربة من مصبّ الوادي الحُلو ، وأنفا المعروفة اليوم بالدار البيضاء ، وأزمّور على مقربة من مصبّ نهر أمّ ربيع ، وأسَافي (سَافِي) . ثم يذكر الزّهري أنه بين فاس ومرّاكش تقع قلعة ابن تويلة [19] التي بُنيت كلّها من الخشب والتي توجد على مقربة منها معادن الفضّة .

---

(18) أظنّ أنّ هذا النّبات الموجود بمكناس قد ينطبق على النبات المسمّى باللاّطينية (سَرَابل النّخيل) والذي يذكره قاموس قَرَابَتاغ . (راجع كذلك فونت إي كُوَار ، بِيُو : النّباتات الطبّية ديسقوريدوس الجديد ، لابور برشلونة 1962). ويضيف في شأنه ص 957 : « المخّ أو النّخلة الصّغيرة التي يسمّيها العرب «سِيفِلْيُو Cifilio. وقد اتّبعوا في هذه التّسمية قَلِنُو Galeno الذي يسمّيها: مخّ النّخلة Palmae encephalon وهو الاسم الذي حرّفه سِرابيون Serapion فأصبح سِيفِلِيو Sifilio ومن ثمة أصبح سِفَقْلِيُون Cephaglion. وهي تسمية من لهجة مدينة نابُلي (حسب بِيدُرُو أندرس دِي لاڤونا في شرحه للباب 65 من الكتاب الأوّل للمادّة الطبّية) .

(19) راجع كُولاَن ، ج. س : قَازَازْ : دائرة المعارف الإسلامية ، الطّبعة الثّانية : 1/894—895.

ثمّ يساير الزّهري مجرى نهر أمّ ربيع في اتجاه منبعه حتّى يصل إلى مرّاكش التي أسّسها يوسف بن تاشفين اللّمتوني ، واعتنى بتحسين مبانيها أمير المؤمنين عبد المؤمن ابن علي. والزّهري يشيد بذكر معالمها مثل المطاحن والحمامات والخانات والعمارات والمنازل الرّائعة والتربة الثريّة وظرف أهلها وتقواهم ودماثة طبعهم . ثم يذكر فجاة جبل دَرَان الفاصل بين هذا الصّقع وصقع السوس . ثم يصف الزّهري بلاد المصامدة باعتبارها أحد أجزاء بلاد المغرب ، ولكن يذكرها على حدة . فبلادُ مصمودة تمتدّ على مسافة 20 يوما وهي كثيرة الماشية ولكنها قليلة الزّرع وبها غلاّت وافرة من الكروم والزّياتين والتين . وهي أرض الضّرْبَان الذي يسمّى باللّغة البربرية جَارْوِي . ويبلغ حجم هذا الحيوان حجم الكلب ويكسو جلدَه غَزْلٌ كالمغازل المستعملة للنّسج يطلقها بقوة تُضاهي قوة القوس . وببلاد المصامدة توجد الأسْد والفهود والغزلان ، وبها أيضا بِيضُ النّعَام . وكانت عاصمتها المدينة الأزلية المسماة بأغمات التي تكثر فيها الغلال والكروم والحبوب والجاوَرْس وهي الذرّة البيضاء وكذلك الذرّة الصفراء [20] .

معاش (اقتصاد) صقع المغرب الأقصى

ينبغي أن أذكر ، بالإضافة إلى المنتوجات الفلاحية التي أشرت إليها في هذا البحث أهمية زراعة الحبوب بفاس وزياتين مراكش وبلاد المصامدة ، وجَوْز صَفْرُو ، والكروم والعنب الذي يبلُغ من الكثرة ما يوفر تصديره زبيبا إلى السّودان . وينبغي أن نأخذ بعين الاعتبار أنّ المغرب كانت تجتازه بدون انقطاع قوافل تعبر الصحراء وتمرّ بسجلماسة نحو بلاد السّودان وغانة ومالي حتى تبلغ تُنْبُكْتُو ثم تُعَرّج نحو كَاوْكَاوْ والحبشة ، إلى مصر حتى تصل عن طريق اليمن إلى بلاد الهند .

وأهم تجارة في نظر الزّهري هي تجارة الذهب المسحوق ، والزيت والرّقيق ، والجلود والخشب النادر النّوع . ويذكر الزّهري كذلك السّكر وزيت الأرْقَن من بلاد

(20) تعترضنا نظرا إلى أن الجغرافيين ليسوا في القرون الوسطى علماء نبات عدّة مشاكل لمعرفة معاني كل العبارات المتعلقة بأسماء الحبوب . وقد درس هذا الموضوع رُوزَنْبَرْغِز. ب، في مقاله : زراعات تكميليّة وأغذية تعويضية بالمغرب من القرن 15/9 إلى القرن 17/11 بمجلّة (أنَال) (حوليات) : 3ـــ4 ماي ـــ أوت 1980 ، ص 477ـــ503 . وصاحب هذا المقال يستشهد برأي ابن خلدون (المقدمة : 179/1) الذي يعتبر أنّ تفوّق المصامدة الجسدي والذهني متولّد عن استهلاكهم للجاوَرس أي الذرة البيضاء وكذلك الذّرة الصّفراء ، هذا ويزعم معاصره ابن الخطيب (أنها أحسن الحبوب التي يتغذّى بطحينها) .

السوس ، والزيت من إشبيلية وثياب الكتان والحرير وبضائع أخرى من إنتاج الأندلس مثل الكحل من جبل شُلَيْر ، وخشب البَقْس المستورد من جبال ألْبِيرِينِيه ، والتمور والدّرقات المصنوعة من جلود الظّباء التي سأذكرها بعد قليل وزرنيخ إفريقية ، والبضائع المستوردة من الشّرق مثل العطور وخشب الصّبّر ومسك الهند . ومن الغرائب إشارة الزّهري إلى المناديل المشهورة ، مناديل السّمندل (21) المصنوعة بالعراق .

وأما الماشية فيجدر أن نذكر أنّ الأراضي المرتفعة المغربية قد أطلق عليها اسم (بلاد الغنم) (22) بينما يشير الزّهري إلى أهمية تربية البقر .

الصقع الثالث : السوس الأقصى

يفصل السوس عن بلاد المغرب جبلُ دَرَن ، ويحدّه غربا المحيط الأطلسي، وشرقا الصحراء التي تمتدّ إلى بلاد لمتونة — (أرض المرابطين) — وبلاد زناتة ، ومن جهة الجنوب الغربي مدينة نُول ، ومن جهة الجنوب الشرقي مدينة أَزُقّي (موريطانيا

(21) يقول الزّهريّ (فقرة 107) إن السّمندل هو حيوان أو طير يعيش في لهيب أفران البلّور بالهند. وهو لا يلبث أن يموت عندما يخرج من النّار إلى الهواء. ويصنع من وبره الذي يشبه وَبَر الفنك المناديل التي كانت تهدى إلى الملوك. وكان ينبغي إلقاؤها في النّار لغسلها لأنها تزداد وسخا إذا ما غسلت بالماء والصابون. والمقصود هنا هو بالطبع مادّة الحرير الصّخري، إلّا أنّه يوجد كثير من الاختلاف حول معرفة ماهيّته معرفة مضبوطة. فحسب رواية القبطان بُرْزُق في كتابه : كتاب العجائب ص 172 أو عند القديس إيزيدُور في كتابه : إيتِيمُولُوجِيَاس (الاشتقاقات) الباب 12 : السّمندل هو طير. وأمّا في كتاب الأحجار (لأبيدَار) للملك ألفونش الحكيم، فالسمندل هو حجر القطن (راجع لابيداريو رقم 50) وكذلك مَارْكُو بُولو في كتاب (المليون) الباب XL VIII إذ يقول : السمندل ليس حيوانا كما يزعم بما أنّه لا يمكن لأيّ حيوان أن يعيش في النّار، لكن صحيح أنّه وَهب نفسه هذه الخاصيّة وهو الامتزاج بالنّار، ثمّ ينتفش كالصّوف. أما البكري الذي يقول إنّ السمندل إنّما هو حجر اسمه باللّغة البربريّة (ثَامْنْجَسْت)، وقد وصل أحد هذه المناديل إلى بلاد الجلالقة كهديّة من أحد التّجار إلى فرناند الأوّل . فظنّ الملك أن المنديل كان لأحد أصحاب السيّد المسيح فيما مضى من الزمان فأهداه إلى صاحب القسطنطينية ليوضع بكنيسة آيا صوفيا. ويذكر أبو حامد في كتاب تحفة الألباب ونخبة الأعجاب طبع ج. فرّاند باريس 1925 ص 202 وص 273—274 : أنّ هذه المناديل كانت معروفة ومستعملة بالصين.

(22) يمكن القول في هذا الصدد أنّ المغرب قد أتى إلى إسبانيا (حيث كانت الأغنام المعروفة بـ«الشّرّو» ذات الوبر الصلب) بأغنامه التي تأقلمت بها والتي تسمّى (مرينو) منذ القرن 12/6 : إمّا نسبة لبني مرين وإما اشتقاقا من عبارة مَرِنٌ أي ناعم طريّ ، ذو رقّة.

اليوم) [24] ومن جهة الشّمال جبل دَرَن المذكور . والمسافة بين جبل دَرَن ومدينة نُول ثلاثة أيام . ويذكر الزهري في بلاد السوس وادي دَرْعة الذي ينبع عند سجلماسة ويبلغ طوله مائة وعشرين فرسخا . وأهمّ المدن هي : رَابِطَةُ مَاسَّة على ساحل المحيط الأطلسي وهي اليوم خراب ، وسجلماسة تَاقَرْسِيت أَوْ تَاجَرْسِيت [25] وهي خراب أيضا . وقد كانت قاعدة جهة وادي دَرْعة وتارُو دنت [26] وتاشِكَة [27] ، وأَتَقَرْكَان (أَدَقَرْتَال اليوم) [28] ، ونُول .

معاش (اقتصاد) هذا الصّقع

والسوس منطقة تجارية تنطلق منه القوافل بين بلاد السودان وبلاد الشّمال ، وبه تجارة الرقيق والذهب المسحوق والعاج والأبنوس والجلود والدرقات المشهورة ، درقات لمط [29] . والزّهري يصف وصفا دقيقا تلكَ الدرقات ويُشيد لنفعها في الحرب لأن الرماح والقنا والسيوف لا تؤثر فيها إلا قليلا . ويصف الزّهري وصفا دقيقا هذا الحيوان (اللمط) فهي أقل ارتفاعا من الأبقار وذات عنق طويل ولها أذنان كأذني المعز ... ولا يوجد هذا الحيوان إلا بالسوس [30] .

وأما المنتوجات الأرضية فالسوس ينتج نوعا خاصا من السّكر مشهور في العالم بأجمعه على حدّ قول الإدريسي . ويصدّر هذا السكر إلى إفريقية والمغرب والأندلس وبلاد الروم والإفرنج . وهذه المنطقة تنتج كذلك النِّيلة بدَرْعَة [31] والشبُّ المستعمل

(23) قد نشر هذه القطعة هوداس وباسي في تأليفهما « البعثة العلمية إلى تونس » الذي ظهر بنشريّة المراسلة الإفريقية الجزائر 1883، II ، 192—199 . اعتمادا على نفس المخطوطات المذكورة في التعليق 12 غير أنّي لم أستطع الاطّلاع عليه .

(24) راجع فَانْيَان : مقتبسات لم تنشر تتعلّق بالمغرب (جغرافيا وتاريخ) الجزائر 1924 ، 27، 74 . انظر الفقرة 336 حيث يذكر الزهري : أزقّي ونول أيضا على أنها بلاد .

(25) انظر فَانْيَان : مقتبسات : 19 ، 178 .

(26) انظر فِرْنَات : ابن سعيد 492 الذي يعتقد أنّها قد تكون طَرْفَانَة القديمة.

(27) انظر فَانْيَان : مقتبسات : 19 ، 178 .

(28) انظر فانيان : مقتبسات : 19 ، 178 .

(29) انظر الإدريسي (I/205—206) الذي يعطي عنها تفاصيل كثيرة .

(30) يصف الزهري في الفقرة 81 معركة استعملت فيها هذه الدرقات .

(31) يلاحظ الإدريسي (I/208) أنّها غير جيّدة إلاّ أن هذه النيلة مستعملة بالمغرب لأنها رخيصة الثّمن. وقد تُخلط بالنيلة الأجنبية التي هي أكثر جودة وتُباع على هذا الوجه خليطا. ابن سعيد (فِرنات 493) يذكر بها زراعة الحنّاء المصدّرة إلى كلّ بلدان المغرب.

للصّباغة وعند الأطباء ، وكذلك نوعا جيّدا من العسل يسمّى عسل المثّاني ، والتمور، والرمّان والحبوب الوافرة إلاّ أنّ التين بالسّوس قليل وكذلك الزّياتين فلذلك يستعمل به زيت الأرجان (من شُجيرة الأرقن ، باللاّطينيّة : أرقانيا سبينوزا أوْ سيدارْوكسيلوم سبينوزوم) [32] . والزّهري يصف وصفا مُفصّلا إعداد هذا النوع من الزيت الذي يصفه كذلك الإدريسي وصفا دقيقا ولكنّه يسميه أرقان في تأليفه : « كتاب روجار ». وأخيرا تُوجد بِدَائي مَعادنَ يستخرج منها نوع من النّحاس يعرف بنحاس مصبوغ سُوسي [33] . أما البضائع التي يستوردها السّوس من الأندلس فثياب الكتّان والحرير .

وفي خاتمة هذا البحث أريد أن أُلحّ على أنّ كتاب الجغرافيا هذا ينتمي لكتب العجائب غيرَ أنّي لم أعتن بهذا الوجه لأني قصدت مَقصدا جغرافيا فحسب ، فبيّنت إذن خصائصه الجغرافية دون غيرها . من ذلك أنّي أهملت الحديث عن عصافير إفريقية التي تأخذ في مناقيرها حبّات الزّيتون وتذهب لتلقي بها عند زياتين رومة العجيبة (فقرة 190) ، أو الخبر عن أسطورة الأمير العربي الذي كان يريد أن يشيّد قصورا على مقربة من مدينة فاس (فقرة 298) والذي هدّد الجنّ المقيمين بجوارها . وأهملت أيضا الكلام عن عجائب تاهرت (فقرة 295) وعن بحيرة بنزرت وحوتها السّحري (فقرة 278). هذا مع أنّ البكري و الإدريسي قد أشارا إلى تلك العجائب فلم أر لها من الفائدة ما يوجب ذكرها والتّعليق عليها . لذا فإنّي أذكّر بما قلت في مطلع هذا البحث في هذا الغرض [34] .

---

(32) راجع فُونْت إي كَاز ، بِيُو : علم النّبات الطّريف Botânica Pintoresca، سِيُنا برشلونة 1158 وَأوزَنْدة بُول : نباتات الصحراء ، باريس 1977 .

(33) الإدريسي (I/221) يقول : «إنّ كثيرا من النّاس يفترضون أنّ المناجم المذكورة هنا مرتبطة ببلاد السوس. وهو خطأ لأن مدينة داي ليست من هذه النّاحية وهي تبعد عن السوس بمسافة أيام عديدة» . وهذه المدينة حسب رأيه توجد ببلاد المغرب.

(34) قدمت هذا البحث في الملتقى الخامس للجامعيين التونسيين والإسبان المنعقد بتونس 1982 .

في خصائص اللغة العربيّة بالأندلس

بقلم : الأستاذ منصف عاشور
كلّية الآداب ــ منوبة ــ تونس

قلّما حظيت اللغة العربية بالأندلس بدراسة نحوية شاملة تحيط بالظاهرة اللّغويّة وخاصّة اللّهجات من حيث أنظمة الصوت والصيغ والتركيب والمعجم ــ وكانت الملاحظات النحويّة في لغة إفريقيّة إبّان الفتح الإسلامي متفرّقة قليلة ــ وكانت تلك اللغة بعيدة في المكان والزمان عن اللّغة النموذجية التي رسم نظام قواعدها وأصولها النحاة في عصر الاستشهاد وتحديد اللغة الفصيحة . ولكن نحاة إفريقية والأندلس قد شاركوا في التأليف فأنتجوا من الشروح وعرضوا من الردود النحوية المشهورة طريقة لغوية طريفة تدعو إلى كلّ العناية[1].

ولا شكّ أنّ تنقّل العربية في المكان مفض إلى ظاهرة تداخل اللغات وتركّبها ولا يعقل انعدام تأثر الأصوات العربية بأصوات اللغة الإسبانية والبربرية والعبرانية،وهي لغات قديمة منتشرة بإفريقية انتشارا حاكما بأن يقرّب نغمها ومقاطعها وصيغها وتراكيبها

(1) أنتجت الشروح والردّود حركة تأليف نحوي هامة من جهة الكمّ والكيف نذكر كتاب التسّهيل لابن مالك وشروحه والمخطوط من شروح سيبويه وتوخّي طريقة إيضاح الزجاجي في مؤلفات السّهيلي وخاصة كتابه نتائج الفكر في النّحو واعتماد كتاب الجمل واضح في ذلك. وردّ ابن الطراوة على إيضاح الفارسي،وبلغ النّشاط النحوي بالأندلس منزلة رفيعة في القرنين الخامس الهجري والسادس /11-12 م .

(2) ابن حزم ــ الإحكام في أصول الأحكام (ج I ــ ص 30)؛ وانظر الزّبيدي في لحن العامة (1964 مصر) .

ومفرداتها من دائرة نحويّة واحدة وأحكام لغويّة متّصلة باللغة النموذجيّة الواحدة. وذكر ابن حزم الأندلسي ظاهرة تداخل اللغات ووضعها في أصل مشترك واحد(2). ولكن اكتفى نحاة إفريقيّة والأندلس بالدوران في الأصول التي رسمها كتاب سيبويه وما جاء به من نظرية نحوية نموذجية، فكانت مؤلفات ابن مالك وأبي حيّان وابن مضاء وابن عصفور وابن حزم والسهيلي وغيرهم، فهم لم يهتموا بالتداخل اللغوي واللهجات إلا من جهة اللحن والخروج عن الأصل النموذجي الفصيح. وحتّى وإن وصفوا «لحن العامة» فغايتهم تقويم اللّسان وكانوا يعبّرون عن مسائل الفروع إذ الأصول قد تقوّمت نهائيا ويدافعون عن نظام العربيّة دفاع الواثق من قوّة نحوها ومناهجها. فلم يكن همّهم الأول ما يطرأ يوميا على العربية من ظواهر في مستويات الصوت والصيغة والتركيب والمفردة. وما كانوا يقصدون في مقارنة اللهجات بالفصحى وضع قواعد جديدة للعامية المتداولة في تجربة الإبلاغ اليوميّة وكأنّهم لم يروا ما يدعو إلى وضع أحكام نحويّة تختلف عمّا صحّ عندهم من نظام الأحكام الأصلية للّغة النّموذجيّة أو لعلهم شعروا بائتلاف الأحكام النحوية في اللهجات والفصحى فأرجعوا الظاهرة إلى اللحن والخروج عن الأصل الأول المجمع عليه. وكان الحرص بيّنا ــ حرص على سلامة العربيّة ــ ونذكر في هذا النطاق كتاب ابن هشام اللخمي (ت 577 هـ/1162 م) المدخل إلى تقويم اللّسان (3).

ولا شكّ أيضا أنّ الدراسات اللغويّة الحديثة في التداخل اللغوي بين العربية والإسبانيّة والبربريّة والعبريّة من شأنها أن توضّح نظام اللغة العربيّة. وتبيّن ظواهر لغويّة مفيدة للتعرّف على منزلة العربيّة ونحوها وأصولها وقوانينها ووجوهها في أبعاد جغرافية نائية عن جزيرة العرب وفترة زمانية خارجة عن تاريخ عصر الاستشهاد والنقل والسماع. ومن الدراسات الخاصة باللهجات العربية بالأندلس في بداية الفتح الإسلاميّ وقيام الدولة الإسلاميّة بها في القرن الثاني للهجرة الثامن الميلادي نقف عند دراسة باللغة الإنقليزية لصاحبها فريديريكو كورياتي. وهي أربعة أقسام مسبوقة بتمهيد للمستشرق الإسبانيّ

---

(3) أنظر ــ رضا عبد الجليل الطيار ــ الدراسات اللغوية في الأندلس العراق 1980 ــ وقد درس كتاب المدخل إلى تقويم اللّسان وقسمه إلى ثلاثة أقسام: قسم أول في الردود على الذين ألفوا في لحن العامة كالزبيدي، وقسم ثان في استعمالات لغوية متنوّعة، وقسم ثالث في استعمال العامة للشعر الفصيح ــ والمفيد في هذه الدراسة جمع المظاهر الصوتية والمعجمية الدلالية للمادة التي صنّفها ابن هشام اللخمي الإشبيلي ــ وانظر ذلك ص ص 86 ــ 118.

إميليو قارسيا قوميز . وتتناول الدراسة اللّهجات العربيّة ودرجات تأثرها باللغة الإسبانية من جهة الأصوات والصرف والنحو والمعجم،وذلك بتقديم أمثلة متنوّعة من لغات قرطبة وغرناطة وبلنسيّة،وهي لغات راجعة إلى لغات إفريقيّة،التي طبعت بخصائص متفرّدة دالة على حياة اللغة في تداخلها وتعاملها اليومي،وما يلاحظ من أوجه الائتلاف أو الاختلاف بينها وبين اللّغة العربيّة الفصيحة في مستويات مختلفة[4] .

فمن جهة البناء الصوتمي ــ محتوى الفصل الأول من الدّراسة ــ نلاحظ وظائف الأصوات العربيّة حركاتها وحروفها وما توسم به من خصائص التنغيم والإيقاع المقطعي وهو ما يفضي إلى تغييرات تعاملية مقطعية أساسية في علم الأصوات العربية[5] . وأبرز الظواهر الصوتمية المقطعية محكومة بالحركة : نوعها،وتوزيعها،ومداها.ولا ريب في أنّ أهم طابع صوتمي للهجات العربيّة الإمالة والتفخيم واستبدال الحركة بمقابلها في جهاز التصويت أو بنظيرها في الجرْس والمدى . ومن الأمثلة في نظام الحركات النطق بالفتحة نطق الكسرة (وهو حدّ الإمالة) كما في : الكساء والبنّاء والجلاء ؛ وتفخيم الفتحة والميل بها نحو الضمّة كما في : وُكْر ورُغْبه ؛ واستبدال الكسرة بعوض من الفتحة كما في : البسيط ← /Albacete/ ؛

والمضيق ← /Almadeque/ ؛

والحديث ← /Alhadet/ ؛

وقد تقلب الكسرة الطويلة حرفاً من صيغة الكلمة في مثل :

ــ جِيطْ ← جَيْطْ

ــ طِيب ← طَيْب .

ــ بِيدَه ← مَيْدَه .

ــ عِيله ← عَيْله .

وهي قاعدة صوتمية مطردة في نظام العربية حيث تتحوّل الكسرة الطويلة غالبا إلى حرف من جنسها وسماها البعض حركة مزدوجة . فالإمالة وتفخيم الفتحة وتعويض الكسرة بحركة أقرب إلى الفتحة وقلب الكسرة الطويلة إلى حرف، ظواهر صوتمية مقطعية تميّز الأصوات العربيّة فصيحها وعاميها .

---

(4) ف. كوريانتي دراسة نحوية للهجات العربية بإسبانيا . معهد الثقافة الإسبانية العربية،مدريد ــ 1977 .

(5) احتّل القسم الأول الصوتمي حيّزا هاما من الدراسة : من صفحة 22 إلى صفحة 73 .

وأما نظام الحروف فلا طابع يميّزها عن حروف العربية الفصحى وحروف لغات شمال إفريقيا باستثناء عدد من السمات الصوتية العامة.والأمثلة في ذلك كثيرة متنوعة منها :

- نطق الباء كالفاء مهموسة مثل : خروبة ، زيب ، بلا ثمن ، وتبكي ؛
- تماثل بين الباء والواو كما في : لبوه ← لوه ؛
- نطق الواو باءا كما في : وصبه ← بصبه ؛
زورق ← زبرق ؛
- قلب الواو همزة كما في : ورائه ← إرائة ؛
وزارة ← إزارة ؛
- نطق الميم نونا غالبا كما في : الحكيم ← الحكين ؛
سليم ← سلين ؛
- إبدال الحروف كتحويل الراء لاما كما في : مارستان ← مالستان؛
سائر ← سائل؛
- نطق الخاء كافا كما في : خليفة ← كليفة ؛
- نطق الخاء فاءا كما في : الخياط ← الفياط ؛

وتلك الظواهر الحرفية تفيد علم الأصوات العربية من جهة السمات المميّزة المقطعية من شدّة ورخاوة وهمس وجهر وإطباق وانفتاح واستدارة والظواهر التعاملية المقيّدة بالحركات.كالتماثل والقلب والإبدال.ويعدّد كوريانتي في هذا الفصل خصائص الإيقاع والنبرة وطول الحركات ونوع المقاطع وتضعيف الصوت[6] ؛ وتخضع الحروف والحركات إلى تغييرات صوتية ذكرنا منها بعض النماذج وهي تغييرات تصنّف حسب الظواهر التعاملية المعروفة في كتب علم الأصوات كالتماثل والتباين والتقريب،ولا تختلف تلك الظوهر عمّا يطرأ على العربيّة الفصحى من تغييرات صوتيّة[7] .

والمستوى الثاني من وصف الظاهرة اللغويّة نظامها الصرفي. ومعروف أن النّحاة العرب استندوا في تحليل الصيغ الاسميّة والفعليّة إلى مادة أصلية كوّنت جذر التوليد للأمثلة الدالة على الذات أو الحدث والزمان . وهذا الطابع النحوي للتوليد والاشتقاق

(6) أنظر الدراسة : ص ص 31-60 .
(7) أنظر خاصة الأمثلة في المفردات والمركبات ـــ ص ص 72-73 .

في النحو العربي مأخوذ من نظام محكم البناء متناسق الأحكام والقوانين، ينظر في الصياغة صوتا وصرفا ومقولات معنوية نحوية[8] . فالحروف أصل الاشتقاق وهي صيغة نظرية تطرأ عليها حركات لتتولّد المعاني الكثيرة وتزداد النظائر الصرفية الشكلية وتتّصل بالأصول مقولات نحوية كالتعريف والتنكير والعدد والجنس والتصغير والنسبة والصفة والزمن وذلك بتوخي اللواحق والدواخل والسوابق المميّزة للوظائف النحوية والمعاني الكثيرة[9]. وذلك التحويل الصرفي والتوليد النحوي مقترن بالأسماء خاصة ؛ وقسمت الدراسة الصرفية إلى خصائص الأسماء الصرفية وجداول الأفعال وتصريفها في الأزمنة من ماض ومضارع وأمر في المعلوم والمجهول وفي تصنيف من جهة العدد : من ثلاثي ورباعي ، ويتواصل الوصف الصرفي إلى أنواع المصادر واسم الفاعل واسم المفعول[10] . وهذا الوجه من الدراسة النحويّة يتّفق اتّفاقا تاما مع ما جاء في كتب النحو العربي المتداولة قديمها وحديثها .

والوجه الثالث من التحليل اللغوي نظام التركيب أو بنية الجملة العربيّة من اسمية وفعليّة[11] . ويلاحظ صاحب الدراسة تصنيف المركبات الاسمية فهي حسب أمثلة ثلاثة : مثل المركب من اسمين أو أكثر كما في :

— المركب الإضافي : جبل طارق .

— والمركب النعتي : مدينة كبيرة ؛ وما يطرأ عليها من حروف فاصلة بين العنصرين كما في ساع بشرط[10] ، ويلاحظ كوريانتي كثرة المركبات الاسميّة في العربيّة وهو ما لا يخرج بسمة مخصوصة عن تصنيف المركبات الاسميّة في العربيّة النموذجيّة المعروفة . ويستعمل المؤلف مصطلح «مركب فرعي» للتعبير عن المركب الحرفي[12] .

ويخصّص المؤلف قسما هاما من الوصف النحوي التركيبي لتحليل الجملة البسيطة والجملة المركبة ، ويتناول بالدرس أدوات النداء وأسماء الإشارة والظروف وأدوات الربط والاستئناف، وذلك للتعبير عن العلاقات الإسنادية في بنية الجمل . كما ينظر في الموقع وقيمته في الربط النحوي . ويهتمّ بالجملة المركبة وما تقوم عليه من

(8) اللّهجات العربية : ص 74-120 .
(9) نفسه — ص 97 .
(10) نفسه — ص 118 .
(11) نفسه — ص ص 121-150 .
(12) نفسه ص 121 .

موصولات أو ظروف وأدوات دالة على معاني الشرط والاستفهام،ويحلّل قواعد التحويل بين بنية شكلية سطحية وبنية مضمرة عميقة وخاصة في الجمل المحتوية على الأساليب الإنشائية بالاستفهام والشرط والتعجّب[13] . والمفيد ما يلاحظه المؤلف من مظاهر التأثر بين اللهجات العربيّة بالأندلس والعربيّة الفصيحة من جهة وبين تلك اللهجات واللغة اللاتينية من جهة ثانية . والطريف في خاتمة هذا القسم الثالث من الدراسة اعتراف صاحبها بصعوبة تحديد عدد من المركبات داخل إطار الجملة القائمة على الإسناد الظاهر،ولكنّه لا يقدّم في هذا الموضوع النحوي أكثر من تلك الملاحظة[14] .

ونلاحظ أنّه لا اختلاف بين خصائص الجمل البسيطة والمركبة في العربية الفصيحة ولهجات الأندلس في طرق العطف والاستئناف والوصل والعقد . وما يجلب الانتباه ثبات الأحكام العامة في نظام الجملة العربية وذلك من خلال الأمثلة التي يذكرها المؤلف ومنها :

1) ـــ استعمال مفردة تعوض دليلا تركيبيا إعرابيا كما في .
ج1 ـــ خبزنا متاع كلّ يوم ؛
ج2 ـــ مثل هذا الجاه متاعي ؛

2) ـــ استعمال مِنْ بمعنى اللام كما في :
ج3 ـــ شهر يناير الذي من سنة 237 هـ .
ج4 ـــ تذكرة من الدّواب والرّجال .

3) ـــ استعمال الأدوات في معان متنوعة كما في :
ج5 ـــ السلف إما عداوة وإما تلف .
ج6 ـــ أنا ما نتوب عن الشراب إلا إذا شاب الغراب .

4) ـــ حذف الموصول في الجمل المركبة كما في :
ج7 ـــ تريد ترى .
ج8 ـــ تحتيجو تريدو .
ج9 ـــ كنت أنت قادر تفعل .

---

(13) نفسه ص 127 .
(14) نفسه ص 142 .

5) ــ تعويض أنْ بما :

ج10 ــ من أجل ما هو كريم .

ج11ــ أبت ما تدور .

ج12ــ لسبب ما استحق ذاك عنده .

ج13ــ لسبب ما كانت أمّه مسلمه .

6) ــ استعمال أدوات دالة على المفعول لأجله .

ج14ــ ما قتل ذلك القوم إلا كما لم يخبروه من تلك الدابة .

ج15ــ ففرحت المرأة كيف يذهب (جملة مأخوذة من كليلة ودمنة في الترجمة الإسبانية) .

فالجملة العربية متأثّرة بلغات إفريقية وبعض الظواهر الخاصة بالهندية الأوروبية مثل استعمال الحروف والأدوات والموقع وحذف الموصول الحرفي وغيرها من قواعد بناء الجملة ــ وتلك الأحكام هامة للتعرّف على نظام الجملة العربيّة وتعليل النحو العربي بجهازه النظري وقوانينه كلّ التراكيب المستعملة قديما أو حديثا ــ فالأحكام النظرية العامة واحدة لكنّها متغيّرة متطورة في مستوى التعامل اليومي والشكل المنطوق[15] .

والمستوى الرابع الأخير الذي يخصّ اللهجات العربيّة بالأندلس قائم على المعجم[16] ،لم يخصّص له المؤلف سوى صفحتين ونصف الصفحة . ويسرد في هذا القسم الرابع مفردات نقلها عن تكملة دوزي[17] . ولا تجد طريفا في هذه المفردات الموافقة للعربيّة الفصحى . والدخيل فيها قليل ، ولا شك في أنّ المفردات الكثيرة في الاستعمال دالة على تنوّع الدلالات في عربيّة الأندلس وخاصة ما كان منها موقوفا على دلالات ثقافية حديثة ولّدها التداخل اللغوي الحضاري . ولم يذكر المؤلف من المفردات إلا كلمة : دماغ المتحوّلة إلى ديموغ في التخاطب اليومي بإسبانيا[18] .

وينتهي الفصل الأخير بنقل زجل لابن قزمان مترجما إلى الإنقليزية ونصّ آخر من لهجات إسبانية .

---

(15) أنظر الأمثلة ــ ص ص 125 ــ 135 .

(16) نفسه ــ ص ص 151-153 .

(17) نفسه ــ ص 151 .

(18) نفسه ــ ص 152 .

فالدراسة التي قام بها كوريانتي لسانية حديثة المنهج الوصفي وقائمة على الاتجاه الوظيفي المعروف بفرنسا مع أندري مارتيني ، ولكنّها دراسة تأخذ بالبنية السطحية والبنية العميقة في التحليل النحوي . والدراسة طريفة إذ تعرّفنا على ما لم يؤلف حوله النحاة القدامى أو القليل من المحدثين . وفي ذلك وثيقة تاريخية هامة دالة على حياة اللغة العربيّة في المغرب العربي والأندلس خاصّة . ولئن كنا لم نر تباينا كبيرا بين نظام العربية الفصحى واللهجات إلا في مظاهر قليلة ترجع هي بدورها إلى أحكام اللغة العربية في نظامها الكامل ، فالدراسة مفيدة لمن يهتم بالتداخل اللغوي في مستويات الصوت والصرف والتركيب والمفردة المعجمية . ومن المعروف أنّ من الأخطاء الوصفية في النحو شدّة التقيّد بالقياس على النموذج أو المعيار وإخضاع الظواهر اللغوية كلها إليه ، فالمعيار في واقع اللسان البشري ذلك الاستعمال الحقيقي الملحوظ في التخاطب بين المتكلمين باللغة في حياتهم اليومية . والمقارنة بين نظامين لغويين توقع دائما في نسبة من الخطإ تلازم كل دراسة تتمثل النموذج وتعود إليه في الوصف والتحليل . فلكل تلفظ نحو خاص . ولكل تركيب نظرية نحوية مفردة ومنه تستنبط الأحكام والقوانين للتوليد والبناء والتعليق . ولكن هل التخلص من المنوال النموذجي واقع ممكن ؟ ذلك ما يجب على النحاة فصله وقوله .

فاللهجات الأندلسية معروفة الآن بهذه الدراسة ولنا فيها مجال للمقارنة اللسانية ولم يخف على ابن حزم تداخل اللغات العربية باللهجات واللّغات غير العربيّة وما غاب ذلك عن النحاة قبله . ولذا تجد في المخطوطات الكثيرة ، لنحاة الأندلس وإفريقية ، مادة غزيرة للتعرّف على مظاهر اللغات العربية المتفرعة عن الفصحى الأولى وما يطرأ عليها من تطورات لغوية يستفيد منها الدّارس للغة العربية ٪

بين الشعراء والنّحاة

قال عبد الكريم القيسي الأندلسي[1] في حمّام : [مخلّع البسيط] :

حَمَّامُنَـــا بَـــرْدُه شَدِيـــدٌ مَـــنْ حَلَّـــه مَالَـــهُ حَيَـــاةُ
سَأَلْتُ عَـــنْ بَـــرْدِه حَكِيمًـــا فَقَـــالَ لِـــي : حَلَّـــه نُحَـــاةُ

ديوان القيسي ص 457

---

(1) عبد الكريم القيسي من شعراء الأندلس في القرن 9 هـ/15 م عاش بمدينة بسطة التّابعة لدولة بني الأحمر . طبعت بيت الحكمة بتونس ديوانه سنة 1988 بتحقيق الأستاذين : محمد الهادي الطرابلسي وجمعة شيخة .

الأندلس في شهادة الكفاءة للبحث العلمي بكلّية الآداب ــ تونس

بقلم : د. جمعة شيخة

شرعت كلّية الآداب (قسم العربيّة) بتونس منذ جوان 1970 في الإشراف على بحوث يقدّمها الأساتذة المحرزون على الإجازة في اللّغة والآداب العربيّة ، ويتمّ إعدادها في فترة لا تقلّ عن سنة من تاريخ تسجيلها . وأطلق على ذلك شهادة الكفاءة للبحث العلمي .

ولقد لفت انتباهنا منذ السّنوات الأولى من شروع كلّية الآداب في مثل هذا التّوجيه للبحث غزارة الانتاج وتنوّعه . وكان هذا أهمّ سبب دعانا إلى الاعتناء بهذه البحوث جملة بتقديمها وتنظيمها وتبويبها ، حتّى تمكّن أكبر عدد ممكن من الباحثين في تونس وخارجها من الاستفادة منها بأقلّ ما يمكن من الجهد وبأسرع ما يمكن من الوقت .

وقمنا لتحقيق هذه الغاية بوضع جذاذة شبه مفصّلة لكلّ بحث ، فتكوّن لدينا شيئا فشيئا وبمرور الزّمن ملفّا لا يستهان به كمّا ومحتوى ، حاولنا تلخيصه على مرّات ثلاث في مجلّة معهد الآداب العربيّة (I.B.L.A) عدد 143 لسنة 1979 ص 135 ، وعدد 147 لسنة 1981 ص 161 ، وعدد 160 لسنة 1987 ص 357 ، بتقديم جدول بعناوين تلك البحوث وتبويب لها حسب ميادين الاختصاص الثلاثة من لغة وأدب وحضارة .

ولفت انتباهنا من خلال ممارستنا لتلك البحوث أنّ لبلاد الأندلس مكانة فيها . ونظرا إلى أنّ جلّ هذه البحوث لم تطبع إلى حدّ الآن ، عزمنا على التّعريف بها في مجلّة (دراسات أندلسية) بتقديم تلخيص لكلّ بحث متعلّق بالأندلس ومدّ الباحثين برقمه في مكتبة كلّية العلوم الإنسانيّة شارع 9 أفريل تونس . وهذا تقديم للقسم الأوّل من هذه البحوث :

البحث عدد1

ـــ الباحث : علي حمريت .

ـــ عنوان البحث : تحقيق لـ (تاج المفرق في تحلية علماء المشرق)لأبي البقاء خالد بن عيسى البلوي القنّوري الأندلسي .

ـــ نوعه : رحلات (حجازية) .

ـــ الأستاذ المشرف : محمد الطالبي .

ـــ تاريخ تقديم البحث : أكتوبر 1971 . رقمه بمكتبة الكلّية : 2612 .

التعريف بمحتوى البحث

هي رحلة قام بها البلوي المتوفّى (بعد سنة 771 هـ/1369 م) من قنّوريّة ضحوة يوم السبت 18 صفر سنة 736 هـ/1335 م قاصدا البقاع المقدّسة . وكان رجوعه منها ووصوله إلى قنّورية بالأندلس عصر يوم الإثنين 1 ذي الحجة 740 هـ/1340 م .

وقد سجّل صاحبها أثناء سفره الذي دام أربعة أعوام و10 أشهر تقريبا كلّ ما شاهده من حياة النّاس وعلاقاتهم وطبائعهم وعاداتهم ، ووصف المدن التي مرّ بها والمسالك التي اتبعها ، كما أنّه ترجم ـــ كما هو العادة في الرّحلات الحجازية ـــ لكلّ من لقيهم من العلماء وذكر أسانيدهم ورواياتهم بإطناب وتوسّع .

وقد اعتمد المحقق على النّسخ الموجودة بالمكتبة الوطنيّة بتونس وهي رقم 15060 ورقم 18886 وعلى نسخة باريس رقم 2286 .

البحث عدد 2

ـــ الباحث : عمر سعيدان .
ـــ عنوان البحث : المراسلة بين ملك أراغون حاكمو الثاني والسلطانين الحفصيين أبي عصيدة وابن اللّحياني .
ـــ نوعه : دراسة تاريخيّة اقتصادية .
ـــ الأستاذ المشرف .: محمد الطالبي .
ـــ تاريخ تقديم البحث : جوان 1971 . رقمه بمكتبة الكلّية : 2860 .

التعريف بمحتوى البحث

هي دراسة للمراسلة بين الحفصيين بتونس وبلاط أراغون في أوائل القرن الثّامن للهجرة/الرّابع عشر للميلاد : مدّة خمس عشرة سنة تقريبا .

وتتّصل الوثائق التي اعتمدها الدّارس بالعلاقات السّياسية والاقتصاديّة التي كانت تربط ملك أراغون حاكمو الثّاني بالدّولة الحفصيّة أيام السلطانين محمد أبي عصيدة وأبي زكرياء بن محمد اللّحياني . وتتمثل في عقود البيع ومعاهدات الصّلح ، والرّسائل المتبادلة بين الدّولتين بصفة عامّة .

البحث عدد 3

ـــ الباحث : محمد توفيق النّيفر .
ـــ عنوان البحث : تحقيق ما يقارب مائة صفحة من مخطوط يحوي أشعارا لابن زمرك .
ـــ نوعه : أدبي (شعر) .
ـــ الأستاذ المشرف : فرحات الدّشراوي .
ـــ تاريخ تقديم البحث : جوان 1971 ، رقمه بمكتبة الكلّية : 2557 .

التعريف بمحتوى البحث

بدأ المحقّق في المرحلة الأولى من عمله بضبط حياة الشّاعر محمد بن يوسف الصّريحي الملقب بابن زمرك المولود في غرناطة سنة 733 هـ/1333 م والمتوفّى بعد سنة 797 هـ/1394 م . ثمّ عرّف بالمخطوط وهو من جمع أحد أحفاد السّلطان الغني

بالله الملقّب بالمخلوع،ويحتوى على موشّحات أندلسيّة دارجة (من ص 1 ــ ص 30) وقصائد بالفصحى (من ص 31 ــ 320) عددها 343 قصيدة في المدح والوصف والغزل والنّسيب والإخوانيات والطرديّات .

وفي مرحلة ثانية قام بتحقيق جزء من هذا المخطوط (من ص 31 ــ 110 ص) .

ويشتمل هذا الجزء على 110 قصيدة عدد أبياتها حوالي 1600 بيت وهو ما يمثل تقريبا 1/3 المخطوط . والنّسخة التي اعتمدها في التّحقيق ملك لصاحب الدّراسة .

البحث عدد 4

ــ الباحث : محمد قويعة .
ــ عنوان البحث : تحقيق جزء من كتاب (ارتشاف الضّرب من لسان العرب) لأثير الدّين أبي حيّان محمد بن يوسف الغرناطي .
ــ نوعه : دراسة صوتية صرفيّة .
ــ الأستاذ المشرف : عبد القادر المهيري .
ــ تاريخ تقديم البحث : أكتوبر 1972 . رقمه بمكتبة الكلّية : 1777 .

التعريف بمحتوى البحث

يحتوي البحث على ثلاثة أقسام :
ــ القسم 1 : ترجم فيه لأبي حيان المولود بغرناطة 654 هـ/1256 م والمتوفّى بالقاهرة سنة 745 هـ/1344 م ، ثمّ عرّف بآثاره .

ــ القسم 2 : فيه تعريف بالكتاب وتحليل للجزء المحقّق وهو يبتدىء من أوّل الكتاب إلى نهاية باب الإدغام .
ــ القسم 3 : تحقيق هذا الجزء من الكتاب . وهو يحتوي على مقدّمة ضبط فيها أبو حيان منهجه ، وعلى قسم صوتي فيه دراسة للحروف و صفاتها ، وقسم صرفي فيه دراسة لأحكام الكلم من حيث التّجريد والزّيادة ، وأبنية الأسماء التي ألحقت بها ، والأسماء الأعجمية ، وأبنية الأسماء وأبنية الأفعال ، ومعاني هذه الأبنية ، والمضارع ،

ونوادر من التأليف ، ومحال حروف الزيادة ، ومحال الحذف والبدل والقلب والنقل والإلحاق والإدغام .

وقد اعتمد في هذا التحقيق على : النّسخة المحفوظة بدار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم 7660 . ولهذا الكتاب نسخ أخرى ذكرها بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي وذكرتها خديجة الحديثي في أطروحتها .

البحث عدد 5

ــ الباحث : محمد الحمّار .
ــ عنوان البحث : تحقيق جزء من كتاب (ارتشاف الضّرب من لسان العرب) لأبي حيّان النّحوي .
ــ نوعه : دراسة في النّحو .
ــ الأستاذ المشرف : عبد القادر المهيري .
ــ تاريخ تقديم البحث : أكتوبر 1973 . رقمه بمكتبة الكلّية : 1779 .

التعريف بمحتوى البحث

بدأ الدّارس بضبط حياة المؤلف وهو محمد بن يوسف المعروف بأبي حيّان ولد بغرناطة سنة 654 هـ/1256 م وتوفّي بمصر سنة 745 هـ/1344 م . ألّف كتابه (ارتشاف الضرب) في آخر حياته وهو يحتوي على قسمين : قسم أوّل لأحكام الكلم قبل التّركيب ، وقسم ثان لأحكام الكلم حالة التركيب . وينقسم الجزء الثّاني من الكتاب في حدّ ذاته إلى قسمين : قسم للأحكام غير الإعرابيّة وقسم للأحكام الإعرابيّة .

ثم قام الدّارس بتحليل جزء وتحقيقه من قسم الأحكام الإعرابية وهي المرفوعات المتمثّلة في باب المبتدأ والخبر ، وباب كان وأخواتها وباب أفعال المقاربة ، وباب إنّ وأخواتها ، وباب لا العاملة عمل إنّ ، وباب الفاعل ، ثم باب المفعول الذي لم يسمّ فاعله . وينتهي هذا الباب الأخير بفصل في اتّصال الفعل بمرفوعه ، وهو الفصل الأخير من النّسخة الموجودة في المكتبة القوميّة بتونس تحت رقم 7660 . وهذه النّسخة ــ حسب خديجة الحديثي ــ لا تمثّل كامل كتاب ارتشاف الضرب .

البحث عدد 6

ــ الباحث : راضية عبيد .
ــ عنوان البحث : تحقيق جزء من (ارتشاف الضرب من لسان العرب) لأبي حيّان النّحوي .
ــ نوعه : دراسة صرفيّة .
ــ الأستاذ المشرف : عبد القادر المهيري .
ــ تاريخ تقديم البحث : جوان 1973 . رقمه بمكتبة الكليّة : 1619 .

التّعريف بمحتوى البحث

هذا البحث يتمّم عمل السيّد محمّد قوبعة ويشتمل على :

1 ــ مقدّمة : تناولت فيها الباحثة دراسة النّحو قبل أبي حيّان ثم ترجمت للمؤلف ، وعرّفت بآثاره ، ثم وضعت القسم المحقّق في موضعه من كامل كتاب ارتشاف الضرب ، وقارنت بين باب التّصغير من شرح المفصّل وباب التّصغير في (ارتشاف الضرب) ، وختمت مقدّمتها بذكر مصادر أبي حيّان .

2 ــ التّحقيق : قامت بتحقيق كامل الجملة الأولى من الكتاب تقريبا ،وهي المتعلّقة بأحكام الكلم قبل التركيب ، فتكون بذلك قد حقّقت الجزء الثّاني من باب الأحكام الإفراديّة وهو : (ما يطرأ على الكلمة من تغيير لمعنى من المعاني) . واشتمل على : التّصغير والتّكبير وأبنية المصادر والمصدر المبهم واسم الزّمان والمكان واسم الآلة واسم الفاعل والمفعول والمقصور والممدود . كما حقّقت باب (ما يلحق الكلمة من أوّلها).ويشتمل على همزة الوصل . وباب (ما يلحق الكلمة من آخرها) ويشتمل على : علامتي التّثنية والجمع ، وياء النّسب ، وعلامة التأنيث ونون التّوكيد وأخيرا التّنوين .

واعتمدت في هذا العمل على النّسخة الموجودة بالمكتبة الوطنية بتونس تحت رقم 7660 .

البحث عدد 7

ــ الباحث : سعيد بن عثمان .
ــ عنوان البحث : تحقيق كتاب «العزّ والمنافع للمجاهدين في سبيل اللّه بالمدافع ج1» لابن زكرياء الأندلسي .

ـ نوعه : في الصّناعة الحربيّة .
ـ الأستاذ المشرف : أحمد بن عبد السّلام .
ـ تاريخ تقديم البحث : 1974 . رقمه بمكتبة الكلّية : 1622

التعريف بمحتوى البحث

اعتمد المحقّق في عمله على ثلاث مخطوطات بالمكتبة الوطنية بتونس تحمل الأرقام التّالية : 3433 ـ 1407 ـ 18120 .

وقد بدأ الدّارس في مرحلة أولى بتقديم هذه النّسخ والتّعريف بالمؤلف والمترجم ذلك أنّ صاحب الكتاب وهو إبراهيم بن أحمد بن غانم بن محمد بن زكرياء الأندلسي المشهور بالأعجمية بالرّبّاش أو المرباش المولود حوالي 912 هـ/1583 م ، جاء إلى تونس وتولّى منصب أغا حلق الوادي في عهد مراد باي المتولّي الأمر بعد يوسف داي ، بعد أن شارك في عدّة حروب مع الإسبان وضدّهم ، وكتب كتابا بالإسبانية سنة 1040 هـ/1631 م ، فقام بترجمته إلى العربيّة ترجمان سلاطين مرّاكش أحمد بن قاسم ابن أحمد بن الفقيه القاسم بن الشيخ الحجري الأندلسي وانتهى من ترجمته في سنة 1048 هـ/1639 م .

وفي مرحلة ثانية قام الباحث بتحقيق مقدّمة الكتاب و 19 بابا من جملة 50 بابا هي كلّ ما يحتويه هذا الكتاب :

1 ـ الباب الأوّل : أورد فيه المؤلف وصايا لأصحاب المدافع .

2 ـ من الباب 2 إلى الباب 11 : وصف أنواع المدافع وبيّن خصائصها باستثناء مدافع الحجارة .

3 ـ الباب 12 : وصف فيه مغارف التّعمير .

4 ـ الباب 13 : بين فيه كيفية الرّمي بالمدافع .

5 ـ الباب 14 ـ 15 ـ 16 : تحدّث فيها عن أسرّة المدافع وعجلاتها .

6 ـ الباب 17 ـ 18 ـ 19 : خصّصها للحديث عن مدافع الحجارة .

البحث عدد 8

ـ الباحث : عبد الرّزّاق الحمامي .
ـ عنوان البحث : دراسة وتحقيق لـ (تاج المفرق في تحلية علماء المشرق) للبلوي .

ـــ نوعه : رحلات .
ـــ الأستاذ المشرف : صالح المغيربي .
ـــ تاريخ تقديم البحث : 1977 . رقمه في مكتبة الكلّية : 1600 .

التعريف بمحتوى البحث

هذا العمل هو تتمّة للبحث الذي قام به السيّد علي حمريت سنة 1970 وتولّى فيه تحقيق جزء من كتاب «تاج المفرق» يتمثل في رحلة البلوي من الأندلس إلى القاهرة في مرحلة الذّهاب .

وقام السيد عبد الرّزاق الحمامي في مرحلة أولى من عمله بمدخل موجز في الأدب الجغرافي ، ثُمّ قدّم رحلة البلوي من ناحيتي المضمون والخصائص الفنّية ، مع ترجمة لأبي البقاء خالد بن عيسى بن أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد البلوي الأندلسي المتوفّى بعد سنة 771 هـ/1370 م .

ثمّ تولّى في مرحلة ثانية من عمله تحقيق الجزء المتعلّق بالفترة التي قضاها البلوي بالإسكندرية في طريق عودته من الحجّ من يوم الأحد 24 صفر سنة 738 هـ/21 سبتمبر 1337 م إلى 6 ذي القعدة 738 هـ/16 ماي 1338 م وهو اليوم الذي وصل فيه إلى مدينة تونس . واعتمد الباحث في تحقيقه على نسختين بالمكتبة الوطنيّة بتونس عدد 15060 وعدد 14792 . ويمتدّ الجزء المحقّق في النّسخة الأولى من ص 97 إلى 127 وفي النسخة الثّانية من ص 119 إلى 153 .

البحث عدد 9

ـــ الباحث : محمد نوفل الجزيري .
ـــ الموضوع : تحقيق جزء من (تاج المفرق في تحلية علماء المشرق) لأبي البقاء خالد بن عيسى البلوي القتّوري الأندلسي .
ـــ نوعه : رحلات .
ـــ الأستاذ المشرف : صالح المغيربي .
ـــ التاريخ 1978 . رقمه بمكتبة الكلّية : 1678 ؛ 1732 .

التعريف بمحتوى البحث

هذا العمل هو تتمّة لما قام به السيدان علي حمريت وعبد الرزّاق الحمّامي . وهو يمثّل الجزء الثّالث من الكتاب ، وليس هو الجزء الأخير . وقد استهلّه المحقّق بتعريف مختصر لصاحب الرّحلة الذي عاش في صميم القرن 8 هـ/14 م . وقد بدأ رحلته يوم 18 صفر 736 هـ/1336 م وانتهى منها يوم 1 ذي الحجّة 740 هـ/1340

ثمّ قام بتحقيق الجزء الثالث من الكتاب معتمدا في ذلك على نسختين بالمكتبة الوطنية بتونس عدد 15060 وعدد 14792 .

ويشمل الجزء المحقق الجزء الأخير من الذّهاب خروجا من مدينة القدس يوم 12 شوّال 737 هـ/14 ماي 1337 م قاصدا البقاع المقدّسة : مكّة والمدينة اللّتين زارهما مرارا عديدة قبل أن يأخذ طريق العودة عن طريق مصر التي وصلها يوم 20 صفر 738 هـ/17 سبتمبر 1337 م.وينتهي الجزء المحقق بعد ذلك بيومين أي يوم 22 صفر 738 هـ/19 سبتمبر 1337 م .

وفي هذا الجزء المحقق أكّد البلوي على وصف المعالم الدّينيّة بمكّة والمدينة ، وذكر الأشخاص الذين تعرّف عليهم أو اعترضوه أو اطلع على آثارهم .

البحث عدد 10

ـــ الباحث : رشيد رضا غديرة .
ـــ عنوان البحث : السّخرية والفكاهة في رسالة التّوابع والزّوابع .
ـــ نوعه : أدبي .
ـــ الأستاذ المشرف : محمد اليعلاوي .
ـــ التاريخ : جوان 1978 . رقمه في مكتبة الكلّية 1621 .

محتوى البحث

بدأ الباحث عمله بالتّرجمة لأبي عامر أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن شهيد (382 هـ/992 م ـــ 426 هـ/1034 بقرطبة) . ثم استعرض الحياة السياسيّة بقرطبة في نهاية القرن 4 هـ/10 م وبداية الخامس/11 م ، وعلاقة ابن شهيد بأهمّ ساسة عصره من العائلة العامريّة والمروانيّة والحمّوديّة . وفي نهاية هذا القسم الأوّل انتقل إلى

الحياة الفكريّة في عصر ابن شهيد ، وحاول ــ بعد أن درس ظاهرة الترسّل ــ ضبط تاريخ تأليف رسالة التّوابع والزّوابع ومنابعها والدّوافع التي حملت ابن شهيد على وضعها .

وفي القسم الثّاني من هذا العمل فرّق الباحث بين كلمتي سخرية وفكاهة ، ثمّ نظر في وسائل كلّ من هذين الاتجاهين ومظاهرهما وخصائصهما عند ابن شهيد . وختم بحثه بمقارنة بين أوجه الاتّفاق وأوجه الاختلاف بين هذه الرّسالة ورسالة الغفران للمعرّي .

(يتبع)

بين بشّار النحوي[1] وأبي العلاء اللّغوي[2]

كان بشّار الأعمى نحويّا أستاذا في العربيّة ، وكان من ناحية الموفّق مجاهد العامري[3] صاحب دانية ومنقطعا إليه ، وله مع أبي العلاء صاعد بن الحسن اللّغوي نادرة مذكورة ... ذلك أنّه لما ورد أبو العلاء دانية وافدا على الأمير الموفّق اجتمعوا عنده ، واحتفل المجلس . قال بشّار : أبا العلاء ! قال : لبّيك ! قال : حرف من الغريب ، قال : قُلْ ، قال : ما الجرنفل في كلام العرب ؟ ففطن له أبو العلاء ، فطرق ، ثمّ أسرع فقال : هو الذي يفعل بنساء العميان ولا يكنّي، ولا يكون الجرنفل جرنفلا حتّى لا يتعدّاهنّ إلى غيرهنّ . فخجل بشّار وانكسر وضحك من كان حاضرا .

الحميدي : الجلوة ط 1966 ص 2 ــ 181

---

(1) من كبار علماء اللّغة بالأندلس في القرن 5 هـ/11 م . عاش في بلاط مجاهد بدانية في شرقيّ الأندلس. (الحميدي : 181) .

(2) أبو العلاء صاعد اللّغوي : نشأ ببغداد وانتقل إلى الأندلس في النصف الثاني من القرن 4 هـ/10 م . كان يُغْمَزُ في معرفته بغريب اللّغة . توفي سنة 417 هـ/1026 م (الأعلام : 271/3).

(3) أبو الموفّق مجاهد من فتيان العامريّين . استقلّ بدانية والجزائر الشرقية في بداية القرن 5 هـ/11 م . كان محبّا للعلم والأدب توفي 436 هـ/1044 م . (الأعلام : 162/6).

جدلية المماثلة والمقابلة في « التوابع والزوابع » لابن شهيد

الأستاذ توفيق بكار
ـ كلية الآداب ـ منوبة

I ـ مدخل

«التوابع والزوابع» بلا مراء طريفة من طرائف أدبنا القديم ، فن من النثر مبتكر يجمع بين لذّة القصّ ولذعة النقد .

لا يعرف لها ، إلى اليوم ، أصل مخطوط وإنما هي فيما نقله إلينا صاحب «الذخيرة» من آثار أبي عامر بن شهيد ، وكل الطبعات الحديثة عالة فيها على ذلك المرجع الوحيد . ولم يثبت ابن بسام نصّها كاملا في كتابه بل اجتزى منها بما أحبّ أن ينتقي من «فصولها». وقد دلّ على ذلك منذ العنوان : «فصول من رسالة...» وقدّم لكل شاهد منها بعبارة تقوم علامة على الاقتطاع : « فصل » ، « قال أبو عامر » ، « وله فصل في مثل هذا ». وتقع مواضعها في معاطف النص الكبرى : بعد لقاء ابن شهيد بتابعته زهير وقبل رحيله معه إلى عالم الجان ، وبعد معاجزة أنف الناقة وقبل تدخل زبدة الحقب صاحب الهمذاني ، وبعد نادي الخطباء وقبل مجلس النقاد ، وبعد مجلس النقاد وقبل موقف الحكم بين البغل والحمار . بل نبّه إلى الحذف بصريح العبارة فور إجازة الجاحظ وعبد الحميد للبطل فقال : «وامتد بأبي عامر الكلام في هذا الباب ومدّ فيه أطناب الإطناب والإسهاب . فلذلك وقفت دون الغاية وقطعت قبل النهاية ».

ثم إنه بدأ شواهده حيث بدأها وأوقفها حيث أوقفها وليس ما يحمل على الإعتقاد بأنه قد انطلق من أول « التوابع والزوابع ». وبلغ منها منتهاها ، فبين أجزائها المنقولة . فجوات وقبلها وبعدها ربّما بقر محذوفات . فهي مثلومة في أوساطها مجزومة الأول والآخر ، بتراء فوراء «عتراء». تلك حقيقتها الراهنة وينبغي لكل دارس أن يعتبرها وإلا كان عمله واهيا من أساسه .

والعجيب أن ثاني محققيها في زمننا الحديث ، بطرس البستاني وهو عالم ثبت، قد أشار إلى نقصها في مقدمته لها ولكنه محا في عرض متنها دلائل القطع حتى بدا نصها المنقول متصلا مسترسلا كأنه لحمة واحدة . ومن شأن هذا أن يوقع القارىء غير المختص في سوء فهم لواقع الحال .

ولا تعلمنا المراجع متى حررها كاتبها ولا في أي ظروف ولأي غرض . فهي أثر لا يوثقه خبر إلا من نفسها فلا مرجع لنا إلاّها في معرفة أسبابها ومقاصدها وما حفّ بها من ملابسات. وما تنبئنا به عن ذاته شيء إن أفاد فلا يكفي. وفي ذلك قد يحيّر مؤرخ الأدب لشدة عنايته بتحقيق النصوص وتدقيق تواريخها وضبط سياقاتها ولكنه لا يحرج ، أو قليلا ، محلّل الأدب ما دام همّه النص قبل ترجمة صاحبه ، إبداع الفنان قبل سيرة الإنسان ، ولكن كيف ونص « التوابع والزوابع » في حاله الراهنة ، مخروم مشروم ؟ لا شك في أن أبا الحسن بن بسام قد أورد ما اختاره من فصولها حسب ترتيبه في الأصل المنقول عنه سابقا بسابق ولاحقا بلاحق فما أخّر ولا قدّم ومنطوق شواهده يؤكد ذلك كما يجلوه التحليل بعد حين .

ومع أنها أثر عجيب يغري البحاث بمغامرة شيقة في مسالك الإبداع فإنها لم تنل من الدارسين كل ما تستحقه من عناية . بدأها البستاني منذ أكثر من أربعين سنة بدراسة غزيرة متينة موثقة ولكنها في أكثرها تاريخية حامت طويلا حول النص في تقلبات العصر وصروف حياة الكاتب ولم تنفذ إلا يسيرا في صميم فنياته . ولم يعد بعده إليها من الدارسين ، في علمنا ، وأخيرا أخيرا ، إلا عبد العزيز شبيل . فقصر غرضه منها على البنية القصصية فحللها تحليلا ذكيا بارعا على مذهب الإنشائية البنيوية. كشف عن لعب التراكيب فيها فهل أصاب لبابها ؟ كان تحليله على قيمته وافيا بأصول المنهج غير واف بثروة النص . والمسألة اختيار . فلكل منهج حدوده وقد ضاقت حدود الإنشائية عن وفرة النص لأدبية النص ، وهي تربو لا محالة على كل تحليل . فشأن النص الأدبي أن يجدد لك الفهم كلما زدته نظرا ، على حد تعبير الجاحظ ، تتعدد فيه القراءات فلا تفنيه ويفنيها ويظل أبدا كالبكر . وهي مأساة النقد ، كما وصفها تودروف ، يطمح إلى الإحاطة بمعنى النص الجامع ولا يدرك منه بالضرورة إلا معنى ممكنا مرجّحا من معانيه التي لا تحصى . فأن تتكاثر الشروح له وتتنوع أمر واجب حتى تنفجر طاقته الكامنة فينطلق بشتى معانيه وفي ذلك إخصاب لوجوده بيننا .

من هذه الجهة نقبل بدورنا على « التوابع والزوابع » والعهد بها قديم وما فتئت على مرّ السنين تراودنا بفتنتها وتلح علينا بالدعوة إلى الغوص على مكامن أسرارها وما

كنا ، ربما ، لنلبي اليوم نداءها لولا رغبة إلينا من زميل كريم غامر في بحر الأندلسيات على متن مجلته والتمس منا أن نجدف معه السفينة حتى تشق طريقها، فاقترح علينا موضوع « التوابع والزوابع » . فلم يعد من الأمر بدّ . فكيف لا نستجيب والطلب عزيز وللعلم فرائضه وبالنفس صبوة إلى الأندلس ، « جنتنا الضائعة » ذهبت بنا عنها رياح الدهر وبقيت فيها آثارنا من قلاع وجسور وقصور ومساجد تقوم وقد خلت من أهلها كالأطلال وهي بدائع يقف عليها الراحل منا فيبكي « من ذكرى حبيب ومنزل ». هو « زمان الوصل بالأندلس » قد مضى وصار « حلما في الكرى » تغذيه من تلك الأرض نصوص تعبق بنفح طيبها . كيف لا نستجيب وبالنفس صبوة إلى الأندلس المفقودة تذكيها لوعة على فلسطين الموؤودة ! مأساة ترددها بعد القرون مأساة . موجع هذا التجاوب وفاجع! كذا نحن « تمامنا » من نقصان إلى نقصان ولا نزال نغتر بطيب العيش ! لا أعرف من عقار ينفع في علاج هذا الداء . هي نفثة من أشجان يبوح بها اللسان ويسطر بها القلم سياق الكلام . فسكينة العلم لا تنفي جيشان الروح ولا برودة العقل حرارة الوجدان ؛ ربّ تحليل هادىء تحته كفورة البركان ، ونعود إلى « التوابع والزوابع » ، وما شردنا عنها في الحقيقة ولا استطردنا ، فنبدأ بطالعها ، عنوانها الذي اشتهرت به بيننا .

II ـــ العنوان :

« رسالة التوابع والزوابع »

في هذا العنوان ،لو نعلم ،مشكلة لا بد من إثارتها وتخص صحته . أمّا « التوابع والزوابع » فاسم كلام « الذخيرة » قاطع بنسبته إلى المؤلف : « فصول من رسالة سماها التوابع والزوابع ... » . وأما « الرسالة » فمصطلح لا ندري من واضعه الكاتب أم الناقل . فالنص في حس ناسخه بلا ريب رسالة فهل هو كذلك في وعي منشئه ؟ يقول ابن شهيد في موضع ما من تأليفه هذا : « وجرت قصص لولا أن يطول الكتاب لذكرت أكثرها ... » . فهو إذن عند صاحبه « كتاب » . ازداد الإشكال وما انحل إذ الكتاب اسم يقع على أجناس مختلفة من التآليف، ومن معانيه الرسالة : «كتابي إليك من النوبهار يوم السبت منتصف النهار» كما يقول مجنون السجع الصاحب بن عباد. ومن معانيه أيضا السفر قد حوى أدبا من غير جنس الرسالة ككتاب كليلة ودمنة وكتاب البخلاء وكتاب الأغاني إلخ ... فأيهما المقصود ؟ المسألة مسألة كيف لا كمّ ، تهمّ نوع المكتوب لا حجمه ، وغايتها التثبت من صحة العنوان للتعرف من الأول ، والأصل مفقود ، على مكان « التوابع والزوابع » بين الأجناس . فلا حل لنا

إلا الرجوع إلى النص الموجود فلعل اسمه منقوش على جسمه . وعلى كل فلئن كان في العنوان من الشبهة ما لا يوضح مسبقا ماهية النص فإن فيه من الجلاء ما يبيّن منذ البدء طبيعة موضوعه : « التوابع والزوابع » . قوية الإيحاء هذه التسمية تثير على الفور في الذهن، بلعب التناص ، عالم الخرافات بخوارقه فنتوقع بشوق سلسلة من الوقائع الغريبة بين الانس والجان تزج بالنص في قصص المغامرات وأدب العجيب . وبهذه الفكرة وذلك الاحساس ندخل النص .

III ـــ النــص

« التوابع والزوابع » نصان لا يتشابهان وإن تكاملا في التأليف : حامل ومحمول أو سائق ومسوق وهذا يمّهد لذاك ويعلله . الأول خطابي لا يزال يشدها إلى مراسم الترسل والثاني حكائي ينزع بها نحو القصص . مخضرمة هي ، تمزج فنا بفن . فهل في هذا ما يدل ، من وجهة تاريخ الأدب ، على لحظة من تحول الأجناس ، لحظة تمخض شكل عن شكل ، ولادة نوع جديد من القصص الأدبي من رحم نوع الرسالة التقاليدي ؟ للسؤال خطورته في معرفة صيرورة صيغ الكتابة على مر العصور ، لا سيما وبعد برهة ستظهر في المشرق رسالة الغفران وفي المغرب رسالة حي بن يقظان وكلتاهما على غرار « التوابع والزوابع » : قصة في رسالة . فما أحوجنا إلى دراسات معمقة تؤرخ لنشأة الأشكال وتطورها بالتلاقح والتناسل فنقرأ في آنية النصوص زمانيتها وندركها متحركة بقوة جدلياتها الداخلية والخارجية من فائت إلى قابل ، متجاوبة متجاوزة ، متصلة منفصلة عبر تفاعل الأجناس لا جزرا تعوم متفرقة في بحر الأدب ! وريثما يتهيأ لنا ذلك حسبنا أن ننظر في النص لبحث كيفيات التعاقد بين فنّيه : رساليّته وحكائيته . وبعد فهو المدشن لهذا النوع المزدوج والأول أحق بالدراسة .

أ ـ الخطبــة

هي فاتحة « التوابع والزوابع » ومدخلنا إلى صميم غرضها . تحدد قضية وتعين أطرافها . وهذه القضية في الأصل مساجلة في الأدب مسرحها الحياة تجري عن بعد، بالمراسلة ، بين حاضر يتكلم وغائب يخاطب ، وأمام ثالث حاضر غائب يتتبع ما يقال. ولكن الكتابة محت المسافات بين الأشخاص ونقلت الركح من الواقع إلى النص فجمعتهم عليه وإذا النص أشبه ما يكون بمشهد مسرحي قوامه الحوار ويمثل مجلسا أدبيا انعقد لمناظرة بطلها ابن شهيد الأديب المشهور ويقابله صاحب له من أهل حرفته ينابزه : أبو بكر ولا نعرف حقيقة هويته . هو المقصود ظاهرا بالخطاب وليس هو المعني

باطنا بالكلام فذاك آخر يلوح شبحه من وراء شخصه : القراء أمس كاليوم . هم حضور المجلس تزوّد ولا تزوِّد . ولكل شخص دوره المرسوم حسب قواعد اللعبة : هذا كتب وذاك نقد فهذا عني النقد برد والثالث جمهور النظارة يخرجون على « الطرح » ويعتّون النقط . على مشهد ومسمع منهم يبارز البطل خصمه عسى أن يحمسوا له ويهتفوا فيحكموا بالفوز له على غريمه . يبدأ النص وقد مضى (في واقع الحياة أو محذوف النص) ، من المقابلة شوطها الأول بالتعادل قولا بقول ، كتابة بنقد . وها قد آن أوان الردّ على الخصم لإفحامه ويرد على نفس واحد كأنه « طرادة » (أو الطّرادة). يبادر البطل ناقده (وقارئه) بمفاجأة فيتلقى منه نقده ... بالإعجاب مهللا ويزيد فيبالغ في الثناء على صدق ظنّه وسلامة حسّه : «لله أبا بكر ظن رميته ... وحدس أمله ...» كأنما نقده مدح لا قدح . إنما هي رياضة من رياضات الجدل : يتسلم الخصم من خصمه حجته ويقلبها عليه فيصرعه بسلاحه . فالحرب حيلة وقد خاتله الرجل بالقول فيجيب على المخاتلة بأختل منها . يذكّره بقوله : « فقلت ... أما إن به شيطانا يهديه، وشيصبانا يأتيه ! وأقسم أن له تابعة تنجده ، وزابعة تؤيده ، ليس هذا في قدرة الإنس، ولا هذا النفس لهذا النفس ... » . دس له السم في الدسم وأدركها منه ابن شهيد بفطنته ، ومعايشة السياق ، ولا يدركها القارىء إلا بعد دقائق من تلاوة النص حين يسمع الجاحظ وعبد الحميد يسألان : « ... فمن أشدهم عليك ؟ » والبطل يجيب : « أمّا أبو محمد فقد انتضى لسانه ... » . وأمّا أبو بكر فأقصر واقتصر على قوله : « له تابعة تؤيده ... » هو إذن من الخصم ذمّ بما يشبه المدح وإذا ابن شهيد يأخذه بظاهر إطرائه ، وباطنه هجاء ، فيعكس القول مدحا بما يشبه الذمّ . ولكن التعريض أصابه لا محالة في مكان حساس كان قد أوهاه كثرة ما أتهم به من أنه حاكية لغيره يجيد ترديد الأصوات ولا يحسن إبداعها . قال عنه صاحب المتنبي : « بلغني أنه يتناول » بل ويذكر هو في شعره ما يقوله فيه أعداؤه :

« فقال فريق ليس ذا الشعر شعره »

لا بد من إخراس الألسن بالحجة المبكتة : « أما وقد قلتها ... » فينذر الخصم، وكأنه يبشره ، بالعجاب بعد العجب . وبهذا الوعد له وهو وعيد وبهذه الاثارة للقارىء وفيها تشويق ينقطع الخطاب ويستمر الحجاج بوسيلة أخرى . فبيّنه ما سيقص . هي إذن حكاية برهان تؤيد الفكرة في معرض الاستدلال كشأن الأمثال في كتاب كليلة ودمنة . وفيما بين الخطاب والحكاية نخرج من الواقع إلى الخيال ومن الحقيقة إلى التمثيل . والخصم هو الذي أوحى إليه بهذا الانتقال ولكن « التابع والزوابع » كانت

عنده فكرة فصارت قصة وكانت نكتة بلاغية فصارت فصولا مروية . خرجت شخوصها من غيب الوهم ، فحضرت على ركح المشاهدة فاستحال المعنى صورا مرئية . ونحمد لأبي بكر خاطرته فلولاها لما كانت « التوابع والزوابع » .

ب ـ الحكايــة

لها ككل قصة مظهران متماسكان لا ينفصمان . فهّي على وجه « خبر » وعلى وجه « خطاب » : أي أحداث تحدث وأشخاص تفعل في ظروف من مكان وزمان وأسلوب في البلاغة ينتهج لأداء كل ذلك . فالمحور في الخبر واقع مّا يراد تصويره إن على الحقيقة وإن على المجاز ، وفي الخطاب قارىء ما يرام أسره بأفانين الكلام : على وظيفتين يجري القص : مرجعيّة تحيلنا تصريحا أو رمزا على العالم ، وإبلاغية تردنا إلى ما بين الكاتب والقارىء من صيغ التواصل . فيتردد القص بين ثالوث من الضمائر : هو وأنا وأنت فيصور ليعبر ويعبر ليؤثر .

والقصة هنا قصتان تندرج إحداهما في إطار الأخرى على نحو معروف من التركيب التضميني . وتنبثق الثانية عن الأولى انبثاق الفرع عن الأصل والجزء عن الكل . وهي أطول طولا وعليها المدار .

1 ـ القصة الإطار

خلاصتها اللقاء بين البطل وصاحبه زهير . وتتوزع بين ثلاثة مقاطع : اللقاء ما قبله وما بعده ، وكل هذا يؤدي إليه وكل ذاك يترتب عليه . منطق ثلاثي معهود : الشيء أسبابه ونتائجه .

المقطع الأول :

ما قبل اللقاء

وهو ثلاث جمل قصصية : تخرّج البطل في الأدب ، ثاراته في الحبّ ، عجزه عن الشعر . وترتصف هذه الجمل على خط الزمان اطرادا : تعلم اللسان حتى « طمن ثغرته» . وأحب ثم مل حتى مات من كان يهواه فأخذ يرثيه حتى آرتج عليه . ويشدها إلى ذلك نظام علّي فكري ونفسي وحدثي : فهو شاعر لأنه تفقه في الأدب ، ولأنه شاعر أحب كما يحب الشعراء فلكل واحد منهم تابعة من الجان تلهمه وتابعة من الإنس تلهبه : خولة وميّة وهند وأسماء . وملّ لأن شأن العاطفة إذا تكررت أن تورث الكلال والملال . ولأن من يهواه مات رثاه ولأنه كان يحبه غصّ بالأبيات فانقطع نفس الشعر

أو لأنه ملّه تضب معين الشعر بموات العاطفة . ولا منطق في الحقيقة إلا مشيئة السارد يدبر أمره ويرسم للأحداث مسيرها فتجري لمستقر لها .

الجملة القصصية الأولى :

التخرج في الشعر :

لم يصنع في الجملة الأولى شيئا فإنما هي عناصر مأخوذة من ترجمته مع مبالغات وهو فيه مسرود لا سارد ، مسرود وفق مقتضيات عرف مّا والسارد هو المجتمع رتب للتعليم مراتبه من « كتّاب الهجاء » إلى ... التبريز في اللغة والأدب .

الجملة القصصية الثانية :

الحبّ والموت :

أما الجملة الثانية فالأحداث فيها خيالية اختلقها ربّ الحكاية فضبط الأدوار وقدر الأعمار بحكمة يعلمها هو ويشي بها لا محالة النص للمحلل . كذا النص ساكت ناطق وكاتم فاضح . « وكان لي أوائل صبوتي هوًى اشتد به كلفي » كلاّ ما هوِيَ ولا اشتدّ به الكلف وإلا فأين التشبيب والغزل !؟ ليس عاطفة حبّه بل ... وظيفة في علاقة بما بعدها من وظائف المقطع وتنسق جميعا في نظام يسير بها سيرا نحو الهدف المرسوم : اللقاء . فما أحبّ إذ أحبّ ولكن إله القصّ أحبّ له أن يحب حتى يكون بعد الحب موت وبسبب الموت رثاء وبالرثاء عيّ . وملّ البطل وما أسرع ما ملّ، في زمن الخطاب إن لم يكن في زمن الخبر ، حتى تسرع الأحداث إلى غايتها . وما أسرع ما ذهب الحبيب بعد ذهاب الحبّ ! « واتفق أن مات من كنت أهواه » بغير علّة سوى ... إرادة خالقه الذي خلقه من عدم لحاجة الحكاية . أما « الاتفاق » فلا اتفاق بل هو أجله المحتوم حدده له وكتبه عليه في لوحه المحفوظ . فلماذا يمدد له في العمر وهو مجرد تعلّة إلى غيره. لا بدّ أن يزول حتى تتقدم حركة السرد، لا بدّ أن يفنى حتى يكون الرثاء .

الجملة القصصية الثالثة :

الرثاء والعيّ

وكان الرثاء وما أبرده رثاء ! « فجزعت » كذب ولا حرقة ولا تفجع وهل من غرابة ! فليس الرثاء تعبيرا عن شعور ، ولم يكن ، بل نقطة مرور في طريق القص .

فإن خلا من لوعة على الراحل الفقيد فلأنه تهيئة للقادم الجديد . هكذا يعجل السرد بتوديع الحبيب الهالك حتى يتمحض لاستقبال الصاحب المنتظر . وبعد بيتين من فاتر الرثاء يصيب الشاعر البهرُ وهو أشد على نفسه فيما يبدو وأهم في القص على كل حال من موت الحبيب لأنه لحظة التوتر المنبئة بقرب اللقاء . ينتهي المقطع والبطل في مأزق من الشعر فكيف خلاصه ؟ ولا يعلّق الموقف إلا بقدر ما يحيّر القارىء ويحرّك فيه فضوله .

المقطع الثاني :

اللقــاء :

يتألف من ست جمل قصصية أولها القدوم وآخرها الذهاب . وهما في منطق الأفعال من الوظائف المتلازمة . فبعد الحضور يكون الغياب « ثم غاب عنّي » ، وكل اجتماع يتبعه افتراق ، حكم العادة . وبين الركنين الثابتين تتعاقب أفعال الحشو : إجازة فتعارف فتصاحب فتواعد ، وما هي إلا تنويع ما على نسق «اللقاء» كما عدد شوقي ، وأن في الحبّ ، عناصره : نظرة فابتسامة فسلام . . . فكلام فموعد فلقاء .

الجملة القصصية الأولى :

القــدوم :

يدشن المقطع الثاني بـ « نظرة » ولا « ابتسامة » : « فإذا أنا بفارس بباب المجلس ». مرقوبة هذه المفاجأة حتى كاد التوقع يذهب بالدهشة . ولكنه حدث خارق . بنوع من المعجزة حضر هذا الفارس كأنه من السماء نزل أو انشقت عنه الأرض . حضر بغتة ولا ندري كيف كما تحضر الكائنات الغريبة . هو فارس مجهول تلفه أسرار الغيب الذي أتى منه « على أدهم كما بَقَل وجهه » : سواد على سواد . ما هذا من لون الملائكة أفيكون من الأبالسة؟ ينشأ اللغز ويتكثف فيزيد الجو غرابة مع شيء من السّوسبنْس يوتر القص لحظة كالموسيقى في الأفلام تسطر بالأنغام الثقيلة المواقف . من هذا الفارس ؟

الجملة القصصية الثانية :

الإجــازة :

كما دخل الفارس البستان بلا استئذان كذلك يبدأ « الكلام » ولا « سلام » : « أعجزا يا فتى الإنس ؟ » هو إذن من الجان . فيختلط الواقع بما فوق الواقع ويتماسّ العالمان

عالم الانسان وعالم الشيطان فندخل في أدب العجيب. ويتحول التعليل من المعقول إلى اللامعقول فيحل السحر محل المنطق ونستسلم كالأطفال للذة الخراف .

عرفنا من أين قدم الفارس فما شأنه ؟

اعتذر له الشاعر عن عيّه فأمره : « فقل بعده ... » لإجازة الشعر جاء وفي اللحظة المناسبة ، لحظة الحرج . اشتدّي أزمة تنفرجي . وما أشبهه على فرسه ، لولا الرمح، بأبطال « الوسترن » يقبلون على خيولهم ركضا لإنقاذ الأحباب في أيأس الحالات . لا تختلف أفانين القص اليوم عنها في القديم . ومن قال إن العرب لا تجيد القص ؟ جاء إذن « زورو » عفوا « زهير » ، وهو اسمه بعد حين ، ولا ليحيي المحبوب بعد موته بل ليخلص الشاعر من وحلته . وأوحى إليه بما كان أعياه ... بيت واحد من الشعر . الموقف رهيب والمدد قليل أكلّ التهويل لهذا النزر ؟ ولكن لمَ الإطالة وقد أدى الرثاء دوره وانتهى ؟ وبارد كالسابقيْن هذا البيت لا يعجز عنه شويعر فما الحاجة إلى شيطان الشعر؟ فإن تشابهت الأبيات في الفتور فلأنها صادرة ، لا ننس ، عن شاعر واحد . هو ابن شهيد ساردا ينجد ابن شهيد راثيا فجاء الشعر واحدا . هذا إلى قلة ذوق . فما دخل « الظبية » و« الغزالة » أيرثي هو أم يتغزل ؟ وما باله يتحدث عن «النعيم» و« حال السرور » والمقام مأتم ؟ يلهو ابن شهيد من حيث يوهم أنه يتعذب. فلم نطالبه بالجدّ والحكاية هزل وسخرية ؟

ويطرب لشعره يعاد إليه على رداءته «لله أنت!» فهو معجب بنفسه حتى في الخطإ .

الجملة القصصية الثالثة :

التعارف :

وأخيرا يميط الفارس عن وجهه « لثام » المجهولية فيكشف عن هويته : « أنا زهير ابن نمير من أشجع الجنّ » . هو أخوه في الشعر ونسيبه من الجنّ . توأم له من « الناس الأخرى » . فأيهما الأصل وأيهما النسخة وأيهما الشخص وأيهما الظلّ ؟ كلاهما كالمرآة تعكس للآخر صورته . بل هما هو ، خيالان في القصة من ذاته الواحدة ، مرآتان ترجّعان إليه صورته . ابن شهيد مفرد في دنياه متعدد في نصّه : سارد وشاعر وتابعة . فكيف لا يعرف بعضه بعضا ؟

الجملة القصصية الرابعة :

التصاحب :

« قال هوًى فيك ورغبة في اصطفائك » . « فقلت أهلا بك أيها الوجه الوضّاح صادفت قلبا إليك مقلوبا وهوى نحوك مجنونا » تبادلا هوى بهوًى ، هوى أصدق من

الذي مات وأعمق لأنه حب الإنسان ... لذاته . إن ابن شهيد يحب ابن شهيد والعكس صحيح . ولا تنقصه في الأصل فتنة نرجسية بنفسه فكيف إذا اشتدّ عليه مقت الأعداء ؟ قانون التعويض يعمل عمله .

الجملة القصصية الخامسة :

التواعـــد :

لا بدّ قبل الفراق من « موعد » حتى يكون بعدِ اللقاء لقاء فتنمو الحكاية . فمن القصة الإطار ينبغي أن تتولد قصص ومن اللقاء مغامرات .

وأعطى زهير صاحبه أبياتا من الشعر « يتمتم » بها و« يعزّم » متى شاء استحضاره فيحضر على الفور محاوبا « حبيك لبيك من الشرق يجيك من الغرب بجيك » . وتتداعى النصوص من هنا وهناك « خاتم سليمان » و« مصباح علاء الدين » وبخور « الحاج الغربي » ... فيتناءى الواقع ونوغل في الخراف . وليس أحسن من الشعر مدعاة إلى شيطان الشعر ولكنها أبيات لا شيء فيها من سرّ الطلاسم ولا من سحر الشعر .

الجملة القصصية السادسة :

الذهـاب :

لم يبق إلا الفراق وهو تمام اللقاء فينصرف الزائر كما قدم بضرب من السحر واثبا بجواده فوق حائط البستان فتثب وراءه القلوب مشيعة ثم تنتظر بلهفة عودته . عسير على الطفل فينا أن يفارق عالم الخراف بعجائبه الشيِّقة .

المقطع الثالث :

ما بعد اللقاء :

ونعود إلى الواقع بعودة الخطاب ينفتح به المقطع وينغلق. وليس دوره في الأول كدوره في الآخر. فهو في البدء إشارة إنذار تنبيء بطور جديد في مسار القصة : «وكنتُ أبا بكر...» كعلامات المرور على الطريق تنبّه إلى منعرج آت . وهو في المنتهى أسلوب في التشويق يلعب على الكتمان والبوح فيشد القارىء إلى الحكاية شدا في الوقت الذي تتحول فيه من طور إلى طور. فانقطاع الأحداث خطر يهدد الحكاية. ولا بدّ للخطاب أن يتدخل فيلعب دوره في تدارك الحال. «وجرت قصص لولا أن يطولَ الكتابُ لذكرت أكثرها

ولكنّي أذكر بعضها» فما منع عنّا معرفة «أكثرها» إلا ليزيدنا تعلقا بـ«بعضها» الذي به يعد.

وبين الخطاب والخطاب قصة ما وقع بعد اللقاء الأول، سلسلة من اللقاءات الأخرى تتكرر متشابهة فيُجْمِلُها « السرد الإعادي » في حكاية واحدة تعطينا منها كلياتها : كلما أُرتِج على الشاعر « تمتم » بالأبيات الطلاسم فتصوَّر له صاحبه وبلغ من القول غايته . أما التفاصيل فطويت في غيب القصّ فلا يعلمها القارئ، أبدا ولا يعلمها البطل أيضا وتابعته لا ولا حتى ربّ السَّرد لأنها ... لم تحدث قط . كتمها ليوهم بأنها جرت وعلى يُكْتَم ما لم يكن ؟ أكتْمُه فإذن هو موجود وإن كان معدوما. للقص ألف حيلة وحيلة هذه منتهاها يُصَوِّر لك المجهول معلوما والمعدوم موجودا فالراوي « إله عليم » لا يفوته شيء مما يقع وحتى مما لا يقع ويعرف كيف يحملنا على التصديق بالكذب . وأعذب القص أكذبه .

(يتبـع)

الجديد في المكتبة الأندلسية :

1 ـــ الموريسكيون ومحاكم التّفتيش في الأندلس 1492 ـــ 1616 للدّكتور . عبد الله حمّادي صدر عن الدّار التونسيّة للنشر والمؤسسة الوطنيّة للكتاب بالجزائر سنة 1989 .

2 ـــ مباحث في التاريخ الأندلسي ومصادره للدّكتور محمد بن عبّود (منشورات عكاظ ـــ الرّباط 1989).

2°) 'Amor sa'idan : Correspondence between the king of Aragon Jacques II and the Hafside Sultans : Ibn 'Asida et Ibn Lahyani beginning of VIII/XIV. N° : 2860.
3°) M^d^ Tawfiq an-Nayfar : Partial edition (100 pages) of the diwan Ibn Zumruk (733/1333 - 797/1394) N° 2557.
4°) M^d^ Quba'a : Partial edition of «Irtišaf ad-ḍarb min Lisan al-'arab» de 'Aṯir al-Din al-Ġarnati (died 745/1344). N° 1777 (1st part)
5°) M^d^ al-Hammar : Partial edition of «Irtišaf ad-ḍarb» N° 1779 (2nd part)
N°) Radia 'Abid : Partial edition of «Irtišaf al-ḍarb» N° 1619 (3rd part)
7°) Sa'id Ben 'Utman : Edition of «al 'Izz wa al-manafi' Lil-mugahidin fi sabil Allah bil-madafi'» - (1st part) , de Ibn Zakariya al-Andalousi (11/17) N° 1622.(1st part)
8°) 'Abdurrazaq al Hammami : Partial edition of «Tağ al-mafraq» (2nd part) N° 1600.
9°) M^d^ Nawfal al Jaziri : Partial edition of «Tāğ al-mafraq» (3rd part) N° 1772, 1678.
10°) Rasid Rida Ghedira : Irony and Joking in «Risālat at-tawāba' wa z-zawābi'» de Ibn Šuhayd (died 426/1034). N° 1621

VI

El resumen del análisis de la obra de Ibn Šuhayd «Risalat at-tawāba' wa z-zawābi' », llevado a cabo por el profesor Taoufik Baccar, aparecerá en el próximo número junto a la segunda parte del dicho análisis.

Le résumé de l'analyse de l'œuvre d'Ibn Šuhayd, par Mr Taoufik BACCAR, vous sera donné au prochain numéro en même temps que la suite de cette analyse.

A summary of the analysis of Ibn Šuhayd's work «Risalat at-tawāba' wa z-zawābi'» by Pr. Taoufik Baccar will appear in the next issue of this journal together with the second part of this analysis.

b) **L'Espagne Musulmane (Al-Andalus) dans les études universitaires à Tunis**

Le Certificat d'aptitude à la recherche scientifique (C.A.R) a été crée en Tunisie en 1970. Il correspond à l'ancien Diplôme d'Etudes Supérieures. Etant donné que les étudiants qui se présentent à ce certificat ne cessent d'affuer à l'université, nous avons cru bon de présenter, de ces recherches et à partir de ce troisième numéro de notre revue, les études concernant l'Espagne Musulmane, et voila la première partie :

1°) Ali Hamrite : Édition de la première partie de «Taĝ al-mafraq fi tah liyati 'ulama' al-mašraq» de Abû L-Baqa' al-Qattûri al-Andalusi (mort après 771/1369) N° à la bibliothéque de la faculté (9 Avril-Tunis) : 2612
2°) 'Amor sa'idan : La correspondance entre le roi d'Aragon Jacques II et les sultans Hafsides : Ibn 'Asida et Ibn Lahyani au début de 8H/14.J N°. 2860
3°) Md Tawfiq al-Nayfar : Édition partielle (100 pages) du diwan de Ibn Zumruk (733/1333 - 797/1394) N° 2557.
4°) Md Quba'a : Édition partielle de «Irtišaf al-darb min Lisan al-'arab» de 'Atir al-Din al-Garnati (mort 745/1344). N° 1777
5°) Md al-Hammar : Édition partielle de «Irtisaf al-darb» N° 1779
6°) Radia 'Abid : Édition partielle de «Irtišaf al-darb» N° 1619
7°) Sa'id Ben 'Utman : Édition de «al 'Izz wa al-manāfi' l il-muĝahidin fi sabil Allah bil-madāfi'» (1ère partie) de Ibn Zakariya al-Andalousi (11/17) N° 1622.
8°) 'Abdurrazaq al Hammami : Édition partielle de «Taĝ al-mafraq» (2ème partie) N° 1600.
9°) Md Nawfal al Jaziri : Édition partielle de «Tāg al-mafraq» (3ème partie) N° 1772, 1678.
10°) Rasid Rida Ghédira : Ironie et plaisanterie dans «Risālat at-tawāba' wa z-zawābi'» de Ibn Šuhayd (mort 426/1034).N° 1621

c) **Moslem Spain (Al-Andalus) in University Studies in Tunis.**

The «Certificat d'Aptitude à la recherche Scientifique». (Certificate of Aptitude to Scientific Research CAR) was started in Tunisia in 1970. It corresponds to the former diploma called «Diplôme d'Etudes Supérieures».

Given the fact that the number of students registered for this certificate is always increasing, it has been thought that a selection of the studies about Moslem Spain is worth including in this journal. This is the first part
1°) Ali Hamrite : Edition of the first part of «Taĝ al-mafraq fi tah liyati 'ulama' al-mašraq» de Abû L-Baqa' al-Qattûri al-Andalusi (died after 771/1369) N° at the library of the faculté de (9 Avril-Tunis) : 2612

achieved by Arab grammarians who have not neglected the spoken language and the phenomena of interferences between dialects.

In this paper, some reflections about Arabic dialects in 8th Century Andalusian Spain are presented. The study is based on F. Corriente's work - 1977 - Madrid. This description has been carried out according to André Martinet's functionalism and his structuralistic and realistic tendancy, i.e. it describes the spoken dialects of Spain on four levels : phonological, morphological, syntaxic and lexical.

Describing ancient dialects can be interesting on condition a question is answered. It concerns the theorization of Arab grammarians who have described their language by respecting the criteria dictated by the system of the Arabic language and its conditions of achievement. This has been done according to the grammatical model of Sibawayh.

V

a) La España musulmana (Al-Andalus) en los estudios universitarios de Túnez

El Certificado de Aptitud para la Investigación (C.A.R.) fue creado en Túnez en 1970. Corresponde al antiguo Diploma de Estudios Superiores. Dado que el número de estudiantes que se presentan a dicho certificado no deja de ir creciendo, hemos decidido señalar en este tercer número de la revista, los estudios relativos a la España musulmana. He aquí la primera parte.

1°) Ali Hamrite : Edición de la primera parte de «Tağ al-mafraq fi taḥliyati 'ulama' al-mašraq» de Abû L-Baqa' al-Qattúri al-Andalusi (muerto después de771/1369) N° en la biblioteca de la facultad de letras (9 de Abril-Túnez) : 2612

2°) 'Amor sa'idan : la embajada entre el rey de Aragón Jaime II y los Sultanes Hafsides : Ibn 'Asida et Ibn Laḥyāni a principios del siglo VIII/XIV. N° 2860

3°) Md Tawfiq al-Nayfar : Edición parcial (100 pages) del diván de Ibn Zumruk (733/133 - 797/1394) N° 2557.

4°) Md Qúba'a : Edición parcial de «Irtišaf al-ḍarb min Lisan al-'arab» de 'Aṯir al-Din al-Ġarnati (muerto 745/1344). N° 1777

5°) Md al-Hammar : Edición parcial de «Irtišaf al-ḍarb» N° 1779

6°) Radia 'Abid : Edición parcial de «Irtišaf al-ḍarb» N° 1619

7°) Sa'ıd Ben 'Uṯman : Edición de «al 'Izz wa al-manāfi' Lil-muğahidin fi sabil Allah bil-madāfi'» de Ibn Zakariya al-Andalousi (11/17) N° 1622.

8°) 'Abdurrazaq al Hammami : Edición parcial de «Tağ al-mafraq» N° 1600.

9°) Md Nawfal al Jaziri : Edición parcial de «Tağ al-mafraq» N° 1772, 1678.

10°) Rašid Rida Ghédira : Ironia y bromas en « Risālat at-tawāba' » wa z-zawābi'» de Ibn Šuhayd (muerto 426/1034).N° 1621

Describir las hablas antiguas es un empresa interesante con tal de responder a una cuestión referente a la teorización de los gramáticos árabes que describieron su lengua respetando los criterios dictados por el sistema del árabe y sus condiciones de realización. Aquello fue llevado a cabo según el modelo gramático de Sibawayh.

b) Reflexions sur l'Analyse des parlers arabes en Espagne

L'analyse linguistique se fait toujours suivant un choix à niveaux multiples : procédure de description et d'analyse, procédure de découverte et une procédure d'évaluation et d'interprétation. Ces choix constituent ur ensemble de critères pour une étude linguistique générale des données mises à l'épreuve formelle et abstraite, étant entendu que la langue est une forme et rien qu'un système d'interdépendances structurales.

C'est ainsi que l'analyse de la langue arabe nécéssite une approche lingnistique qui aurait à représenter les niveaux phonologique, morphologique syntaxique et lexical selon un corpus donné et limité dans le temps e l'espace. Ceci a été réalisé par les grammairiens arabes qui n'ont pa mésestimé les parlers et les phénomènes des interférences entre dialectes.

Dans cet ordre d'idées, nous nous proposons de présenter succintemen quelques réflexions sur les parlers arabes en Espagne Musulmane au 8èm siècle à partir d'une étude de F.Corriente - 1977 - Madrid. Cette descriptior a été faite selon le fonctonnalisme d'André Martinet et sa tendance structuraliste réaliste. C'est-à-dire décrire les parlers arabes d'Espagne suivant quatre plans : phonologique, morphologique, syntaxique et lexical.

Décrire les parlers anciens est une entreprise intéressante à condition de repondre à une question concernant la théorisation des grammairiens arabes qui ont décrit leur langue en respectant les critères dictés par le système de la langue arabe et ses conditions de realisation. Cela a été fai d'après le modèle grammatical de Sibawayh.

c) Reflections on the analysis of Arab spoken dialects in Spain

Linguistic analysis is always carried out at multiple levels : - description and analysis procedure, discovery procedure and evaluation and interpretation procedure. This set of criteria constitutes a basis for a general linguistic study of data exposed to formal and abstract examination. Language is a form and only a system of structural interdependances.

The analysis of Arabic needs a linguistic approach which would have to represent phonological, morphological, syntaxic and lexical levels according to a corpus which is limited both in time and in space. This has been

d'abondantes références à leurs richesses naturelles (industrie minière, agriculture, pêche et élevage) et aux activités économiques et artisanales. On met en relief les nouvelles relatives aux routes commerciales et aux principaux produits objet d'importation et d'exportation.

c) The Maghreb as depicted in the geographic work of Muhammad al-Zuhri

In this article data about the Maghreb are collected and studied. They are found in the Kitâb al-gigrafiya , written during the first half of the VI/XII century by Mohammad Ibn Àbí Bakr al-Zuhrí. This andalousi author, also called «the Anonymous of Almeria», divides the territory lying between Cyrenaïque and Tripolitania and the far western part of present Morocco into three zones : Ifrîquiyya, al-Maghrib al-Àqsā ; and al-Sūs al-Àqsā. The Berber inhabitants are mentioned as well as their diet ; the orography and hydrography of each zone as well as the main coastal or inland towns are pointed out. Abundant references to their natural richness (mine industry, agriculture, fishing and breeding) and economic and handicraft activities can be found. Information about commercial roads and the main products of importation and exportation are emphasised.

IV

a) Reflexiones sobre el análisis de las hablas árabes en España

El análisis lingüistico se efectúa siempre conforme a una elección de niveles múltiples : - procedimiento descriptivo y analítico, procedimiento de descubrimiento y procedimiento de evaluación y de interpretación. Estas elecciones constituyen un conjunto de criterios para un estudio lingüístico general de los datos sometidos a la prueba formal y abstracta , teniendo en cuenta el hecho de que la lengua es forma y nada màs que un sistema de interdependencias estructurales.

Por ello, el análisis de la lengua árabe necesita una aproximación lingüística que represente los niveles fonológico, morfológico, sintáctico y léxico, según un corpus dado y limitado en el tiempo y en el espacio. Esto fue obra de gramáticos árabes que no despreciaron las hablas y los fenómenos de interferencias entre dialectos.

En este marco de ideas, pretendemos presentar de manera sucinta algunas reflexiones sobre las hablas árabes en la España andalusí del siglo VIII a partir de un estudio de Federico Corriente. (Madrid, 1977). Esta descripción fue llevada a cabo en base al funcionalismo de André Martinet y su tendencia estructuralista realista, esto es, describir las hablas àrabes de España conforme a cuatro planes : fonológico, morfológico, sintáctico y léxico.

also an attempt to discover the first original sources on which he relied to narrate the events of al-Maghrib from the Muslim conquest up to his time in the fifth century A.H. / the eleventh A.D. His sources about this history were diverse, including oral accounts, documents, and books. These sources were analyzed in order to explain their importance, and to compare al-Bakri's work with other writers who were interested in writing the history of al-Maghrib.

Many of al-Bakri's accounts were original since their narrators and writers were considered to be the first historians who were interested in Muslim conquests in North Africa. They mentioned important details, which al-Bakri preserved in his book, thus doing a great service to the Arabic and Islamic studies and the primary sources related to studying al-Maghrib.

III

a) El Magreb según el tratado geográfico de Muhammad al-Zuhrí

En este articolo se recogen y se estudian los datos relativos al Magreb que aparecen en el **Kitâb al- ğiğrafiya** , escrito en la primera mitad del siglo XII por muhammad ibn 'Abî Bakr al-Zuhrî. Este autor andalusí, también llamado « el Anónimo de Almería », divide el territorio comprendido entre la Cirenaica y la Tripolitania, y el extremo occidental del actual Marruecos, en tres zonas : **Ifriqiyya, al-Magrib al-'Aqsà y al-Sûs al-'Aqsà.** Se enumeran las tribus bereberes que las habitan y su tipo de alimentación y se describe detalladamente la orografía y la hidrografía de cada zona, así como las principales poblaciones, portuarias o del interior. Hay abundantes referencias a sus riquezas naturales (minería, agricultura, pesca y ganadería) y a las actividades económicas y artesanales. Destacan las noticias relativas a las rutas comerciales y a los principales productos objeto de importación y de exportación.

b) Le Maghreb d'après le traité géographique de Muhammad al-Zuhrî.

Dans cet article on recueille et on étudie les renseignements relatifs au Maghreb qui figurent dans le **Kitâb al-ğiğrafiya** , écrit dans la première moitié du VI / XIIème siècle par Muhammad ibn Abî Bakr al-Zuhrî. Cet auteur andalousi, nommé aussi «l'Anonyme d'Almeria», divise le territoire compris entre la Cyrénaïque et la Tripolitanie, et l'extrême occidental de l'actuel Marroc, en trois zones : **Ifriqiyya, al-Magrib al-'Aqsà y al-Sûs al-'Aqsà.** On énumère les populations berbères qui les habitent et leur sorte d'alimentation et on décrit en détail l'orographie et l'hydrographie de chaque zone, ainsi que les principales villes, portuaires ou intérieures. Il y a

d'abonc
agricult
On met
principa

c)

In thi
are four
VI/XII
author,
between
Morocc
Aqsā. T
graphy
towns a
industry
activitie
product

a)

El análi
múltiple
cubrimi
eleccion
general
cuenta e
interdep
Por e
güística
léxico, s
fue obra
menos d
En es
algunas
VIII a
descripc
y su tenc
España
léxico.

II

a) Estudio de las fuentes documentales de Ábú 'Ubayd Al Bakri relativos a la historia de Ifriqiyya y del Magreb

Este estudio trata la materia histórica sobre África del Norte que nos dejó Abú'ubayd'Abdalah Ibn'Abd-al-'Aziz Ibn Muḫammad al-Bakrí en su libro «al Masālik wa-l-Mamālik» (Tomo consagrado a ifriqiyya y al Magreb). Es también una tentativa de sondear las fuentes principales que al-Bakrí utilizó al relatar los acontecimientos que había conocido el Magreb desde la Conquista islámica hasta el siglo V° de la Hégira (S,XI), siglo en que vivió al-Bakrí. Este estudio nos revela que las fuentes relativas a esta historia son varias : abarca relatos orales y documentos escritos.

Estas fuentes han sido objeto de análisis con el fin de demostrar su alcance y de comparar el método adoptado por al-Bakri al apoyarse en ellas con el de otros cronistas del Magreb. Muchos relatos de al Bakri se han revelado auténticos ya que sus narradores eran de los primeros historiadores interesados por las conquistas arabomusulmanas de Africa del Norte, de cuyos comentarios relevantes dejó constancia al-Bakri en su libro anteriormente mencionado para bien de los estudios árabes e islámicos y de las fuentes relativas al estudio del Magreb Árabe.

b) Etude des sources documentales de 'Abu 'Ubayd al-Bakri relatives à l'histoire de l'Ifriqiyya et du Maghreb

Cette étude traite de la matière historique dans la partie consacrée par Bakri dans ses Masalik à l'Ifriqiyya et au Maghreb en général. Elle vise à inventorier et à analyser les sources mises à contribution par l'auteur en questions dans sa relation des évenements survenus dans cette région depuis la conquête musulmane jusqu'au V^{e}/XI^{e} siècle, où il a vécu. Il ressort du travail que ces sources sont variées - sources orales, sources livresques, documents officiels-, que la méthode suivie par Bakri dans leur exploitation est remarquable, en comparaison avec celles d'autres auteurs classiques qui se sont intéressés eux aussi à l'histoire du Maghreb, et, enfin, que ces sources sont d'une grande valeur, en particulier, celles remontant aux premiers historiographes qui, traitant de la conquête du maghreb par l'Islam, livrent des renseignements précieux. Bakri qui les reproduit dans son ouvrage, rend donc un grand service aux études arabes et islamiques ainsi, en quelque sorte, qu'à ces sources de première main.

c) Study of documentary sources of 'Abu 'Ubayd al-Bakri relative to the history of Ifriqiyya and the Maghreb.

This paper deals with the historical accounts which Abu'Ubayd al-Bakri has written about North Africa in his work al-Masālik wa al-Mamālik. It is

riğ. secte héterodoxe de l'Islam. Mais le juge porté de l'affaire acquita Àbū 'Umar.

L'affaire, bien sûr, n'a pas trouvé place dans nos Chroniques historiques, préoccupées surtout par les évènements politiques. Ce sont les livres des «Tabaqāt» qui nous en parlent.

L'auteur insiste sur l'importance de cette catégorie de sources, considérées à tort comme secondaires, pour l'historien du Moyen âge musulman, tente de regrouper tous les détails possibles par ce procés et essaye de découvrir les dessous de toutes les accusations portées contre at-Talamanki.

Il découvre dans cette personne un redresseur des mœurs dont l'activité s'inscrit dans le cadre du «'amr bil-ma'ruf wa an-nahy an al munkar», principe utilisé aussi bien par des savants «innocents que par des agitateurs politiques. Ceci permit à l'auteur de faire un rapprochement entre l'activité d'at-Talamanki et celle d'un autre savant malikite de l'époque : Àbū-ʿImrān al Fāsi, pour conclure que les savants malakites du Vᵉ siècle de Hégire bougeaint intensément. Le résultat de cette activité est connu. Elle donna naissance à l'Etat almoravide.

c) The trial of 'Abu 'Umar at-Talamanki al-Àndalusi

In this article, the author relates the case of a charge against Àbū'Umar at-Talamanki, a learned Andalousian of IV-V Century Héjri. A group among his colleagues accused him of being too demanding as far as religion is concerned and also of being a «harurite», a denomination meaning that he belonged to the «ḫawāriğ», a heterodox sect of Islam. But the judge in charge of the case acquitted Àbū ʿUmar.

The case, of course, has not been mentioned in our historic chronicles, essentially preoccupied by political events. However, such cases are mentioned in the books of «Tabaqāt».

The author stresses the importance of this kind of sources considered wrongly to be of secondary importance by the historians of the Muslim middle ages ; he tries to assemble all possible details about the trial and to unveil the causes of all the charges against at-Talamanti.

The author finds Àbū-ʿUmar to be a moralist ; his activity stems from the «'amr bil Ma'rūf wa an-nahy an al munkar», a principle used both by «innocent» scholars and political agitators. This led the author to draw a parallel between the activity of at-Talamanki and that of another malikite scholar called Àbū-ʿImrān al-Fāsi ; he concludes that the malikite scholars of the V century Hijri were very active. The result of such an activity is known. It gave birth to the almoravide State.

Les Résumés

I

a) El pleito de 'Abú 'Umar At-talamanki Al-'Andalusi

El autor presenta en este artículo el caso de un proceso entablado contra Ȧbū ʿumar at-Talamanki, sabio andalusí del siglo IV-V° de la Hégira - por un grupo de sus colegas. Fue acusado de intransigencia desmesurada en materia de religión y de ser «harurite», denominación que deja entender que el procesado pertenecía a los hawarig, secta heterodoxa del Islam. Pero el juez absolvió a Abu' Umar.

El pleito no apareció en nuestras crónicas históricas, preocupadas sobre todo por los acontecimientos políticos. Pero sí apareció en los libros de «Tabaqāt».

El autor pone de realce la importancia de esta categoria de fuentes, consideradas sin razón como siendo secundarias para el historiador de la Edad Media _ musulmana; intenta reunir todos los detalles posibles relativos a este procesco y se empeña en descubrir los motivos escondidos de todas las acusaciones dirigidas contra at-Talamanki-

Descubre en esta persona a un ser inclinado a reparar las costumbres cuya actividad se inscribe en el marco de «ʿamr bil-maʿruf wa an--nahy an al-munkar», principio adoptado tanto por sabios «inocentes» como por agitadores políticos.

Ello permitió al autor establecer un paralelo entre la actividad de at-Talamanki y la de otro sabio malequi de la época : Ȧbuʿlmrān al Fāsí, concluyendo que los sabios malequíes del siglo V° de la Hégira se agitaban intensamente. El resultado de dicha agitación es el conocido advenimiento del Estato almorávide.

b) Le procés de 'Abū 'Umar at-Talamanki al- Ȧndalusi

L'auteur présente dans cet article le cas d'un procés intenté contre Ȧbū 'Umār at-Talamanki- savant andalou du IV-V^e/X-XI par un groupe de ses collègues.

Il est accusé d'être trop exigeant en matière de religion, et d'être un «harurite», dénomination qui laisse entendre que l'accusé appartenait aux ḫawā-

y precisamente en S.Carles de la Rápita[3], esta espléndida ciudad del Levante bañada en el azul del mar y el verde del campo, mecida por el susurro del río y el canto de lo pájaros del monte, se celebró un coloquio sobre las fortalezas y su papel defensivo social e intelectual[4]. A dicho coloquio acudierón - a pesar de su ubicación en una región relativamente lejana de las grandes ciudades españolas de abundante actividad cultural - los especialistas del tema y los profanos - Estos fueron más numerosos y más empeñados en comprender los detalles y discutir las ponencias ? Cómo podemos explicar este fenómeno ? Por la buena acogida y la organización adecuada, es cierto. Pero hay otras razones : encontraron en los estudios andalusíes algún sustento tanto a su espíritu como a su alma, lo cual motivó su curiosidad y su interés.

Aquel coloquio constituye en real verdad un eslabón en la cadena de manifestaciones que durarán hasta el año 1992,[5] fecha de la celebración del V° centenario del descubrimiento de América por Cristóbal Colón. España será con motivo de esta gran commemoración humana un polo de atracción para los amantes del patrimonio auténtico, del arte refinado, de la historia gloriosa y de la tolerancia infinita[6]

A todos cuantos puedan asistir a los simposios científicos y a los circulos intelectuales y sobre todo a aquéllos que no lo puedan hacer, se ha publicado la revista «Dirasat Andalusiyya» y seguirá publicándose, si Dios quiere .

Dr Jomaa Cheikha

---

(3) Esta ciudad está situada cerca de la desembocadura del Ebro.

(4) Participaron a este coloquio el Dr. Farhat Dachraoui y el Dr. Jomaa Cheikha, como invitados del Ayuntamiento de la ciudad con una ponencia sobre «El papel militar e intelectual de las fortalezas en Ifriqiyya».

(5) Este año corresponde al V Centenario de la Caída del último bastión musulmán en España : Granada. Los españoles han evitado poner el acento sobre este episodio y han ubicado su intención en el descubrimiento de América.

(6) En el marco de la tolerancia, nos propusieron los organizadores del coloquio de S. Carles de la Rápita que entabláramos relaciones entre familias andalusíes emigradas en Túnez y otras que se quedaron en España con el fin de doblar la página de una historia dolorosa en el recinto de esta hermosa ciudad.

Presentación

Con la aparición de su tercer número, la revista «Dirasat Andalusiyya» celebra su primer cumpleaños. En efecto, su primer número apareció en el transcurso del mes de enero del pasado año. La revista fue acogida en aquel entonces con ternura y cariño, con asombro y sorpresa o con sarcasmo e ironía.

Sí, nuestra revista apaga hoy su primera vela y enciende desde el fulgor de la voluntad, la antorcha que iluminará su acción futura, su acción silenciosa, serena y perseverante.

El sueño se ha hecho verdad y el anhelo, realidad concreta : gracias a la relevancia del contenido de la revista, varias universidades y organismos científicos de renombre, árabes y extranjeros, nos escribieron, solicitando suscripciones. Además, algunos de sus estimables profesores inclinados a Los estudios andalusíes, se comprometieron con participar en la revista con artículos.

Por nuestra parte, consideramos el éxito relativo de la revista inherente al hecho de que los estudios andalusíes en general, y en Túnez y España en particular, han tenido durante estos últimos años un alcance intelectual y civilizacional insospechado.

A través de este alcance, hoy se están forjando nuevos valores y principios que, sin duda alguna, participarán a la hechura del hombre del venidero siglo, infundiéndole el sentido de la tolerancia , de la cooperación y la dimensión de la paz y del amor.

Túnez celebró en el transcurso de una semana dos simposios internacionales(1). Aunque sus temas generales no se ubicaron en Al-Andalus, el prolífero patrimonio de aquel país, fue objeto de estudios que tradujeron una vez más los valores soñados a finales de la presente centuria(2). En España

(1) El primer simposio fue organizado por la Asociación Tunecina de Historiadores Universitarios. Se trataba del V simposio sobre la Historia y la Civilización del Magreb. Se celebró del 23 a 26 de octubre de 1989.
El segundo simposio internacional fue organizado por la Casa de Edición Alif y el Servicio Cultural de la Embajada de Francia en Túnez sobre «El Mediterráneo a través la cartografía y las relaciones de viajes». Se celebró del 26 al 28 de octubre de 1989.

(2) Entre las figuras sobresalientes que participaron en el segundo simposio cabe señalar al Dr. Mikel de Epalza y al Dr. André Miquel.

Revue d'Etudes Andalouses

Revue scientifique spécialisée dans les études concernant l'Espagne Musulmane

Fondateur et Directeur
Djomaâ CHEIKHA

Comité Consultatif : Abdeslam Mseddi, Mohamed Yalaoui, (Tunisie) - Abdelkader Zamama (Maroc) - Mikel De Epalza (Espagne)

2 numéros par an qui paraîtront en Janvier et en Juin

Prix du numéro :

— En Tunisie : 3,000 DT
— Pays arabes : 4,000 DT
— Autres pays : 5,000 DT

Pour toutes correspondance et abonnements écrire à l'adresse suivante : Cheikha Djomaâ B.P. N° 51. 1008 Tunis Bab Manara - Tunisie. Tél : 227-616
Le Montant de l'abonnement peut-être réglé soit directement au C.C.P 543-94, soit par chèque bancaire.
Les opinions émises dans les articles publiés n'engagent que leurs auteurs.
Les manuscrits, publiés ou non, ne seront pas rendus à leurs auteurs.

Revue

D'ETUDES ANDALOUSES

«DIRASAT ANDALUSIYYA»

Décembre 1989 **N° 3** Ǧumādā I - 1410